ملحمة حر

ديوان

عبد الحميد ضحا

الناشر
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨
البريد الإلكتروني e.mail: adabook@hotmail.com

Editions Al-Adab 1923
42 Opera square - Cairo – Egypt

الناشر

مكتبة الآداب

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

ضحا، عبد الحميد

ملحمة حر: ديوان/ عبد الحميد ضحا.-

ط١.- مكتبة الآداب، ٢٠١١.

١٠٨ ص؛ ٢٠ سم.

تدمك ٣ ٣٩٩ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الشعر العربي - تاريخ - العصر الحديث

٢ - الشعر العربي - دواوين وقصائد

أ - العنوان

٨١١,٩

عنوان الكتاب: ملحمة حر

شعر: عبد الحميد ضحا

رقم الإيداع: ٢١٢٤٢ لسنة ٢٠١١م

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 978 - 977 - 468 - 399 - 3

مكتبة الآداب

(علي حسن)

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

هاتف: ٨٦٨٠٠٢٣٩٠ (٢٠٢) -

e-mail: adabook@hotmail. com

إهداء

إلى كل أحرار العالم وشهداء الحرية

الأقمار التي تضيء للبشرية الظلام

والشموس التي ستلتهم الظلام

مُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ﷺ.

في خضمِّ الصراع المستعر بين الفكر الإسلامي والأفكار التغريبية، ونحن إذ نخوض هذا الصراع في أهم روافد الفكر؛ الأدب – أقدِّم ديواني «ملحمة حر»، ممثلاً للشعر الإسلامي، كما أراه وأنظِّر له، وللأدب الإسلامي عمومًا.

والأدب الإسلامي كما أراه: هو الأدب - بشتى فروعه من شعر ورواية وقصة قصيرة... إلخ - الذي يراعي آداب الإسلام وأحكامه، ويُعْنى بإشاعة الفضيلة ومحاربة الرذيلة في المجتمع.

قال الشاعر:

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلاَّ سَيَفْنَى ... وَيَبْقَى الدَّهْرَ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ

فَلا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ ... يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

ومعلوم أن للأدب دورًا عظيمًا في تاريخ البشرية عامة، وفي تاريخ المسلمين خاصة، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحكمة»، ولما كان يوم الأحزاب، وردَّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرًا، قال رسول الله ﷺ: «من يحمي أعراض المؤمنين؟» قال كعب: أنا يا رسول الله، فقال: «إنك تحسن الشعر؟» فقال حسان بن ثابت: أنا يا رسول الله، قال: «نعم، اهجهم أنت، فسيعينك روح القدس».

فالأدب الإسلامي هو لسان المجاهد والداعية، والمدافع عن الإسلام وعقيدته وشريعته، فهو حاضر منذُ انبلج فجرُ الإسلام، وقد استمرَّ عبرَ القرون وخلالَ العصور حتى يومِنا هذا.

أما مصطلح «الأدب الإسلامي»، فهو حديث، وأظنه أخذ موضعه بسبب الصحوة الإسلامية، وأيضًا بسبب تصدِّيه للهجمة العلمانية الشرسة على كل ما هو إسلامي، ومحاولة حصر الأدب والحداثة في الخلاعة والمجون والشذوذ، والثورةِ على قواعد

الإسلام؛ بدعوى الخروج على التابوهات!!

وها أنذا أحاول من خلال أشعاري ورواياتي وقصصي ومقالاتي وبرامجي التلفزيونية أن أنشر هذه المدرسة، ساعيًا إلى دعوة الأدباء الإسلاميين إلى التجديد في الأدب، والاهتمام بنشر اللغة الفصحى وتحبيبها للناس، مع استخدام واستحداث الصور والأساليب الجمالية التي تأخذ بلبِّ المتلقي؛ تطبيقًا لحديث النبي ﷺ: «إن من البيان لسحرًا».

نريد إبداعَ أدبٍ إسلامي، ملتزمٍ بقضايا الأمة، يراعي أصول الإسلام، نريده رفيع المستوى، عالي الجودة، ذا لغة جزلة وفصيحة، وصور تعبيرية راقية، يخوض في الأغراض الأدبية المختلفة.

نريد إبداع الأدب الإسلامي الرائع البيان والصور، الذي يلامس الروح، ويخاطب العقل، ويثير الأحاسيس والعواطف الوجدانية والإنسانية، ويسمو بها.

نريده مصوِّرًا واقع الأمة تصويرًا حيًّا، من غير بهرجة، ولا زخرفة، ولا رمزية غامضة، مدافعًا عن عقيدتها، ناصرًا قضاياها، ناشرًا للفضيلة، محاربًا للرذيلة.

نريد أديبًا متأثرًا بلغة القرآن الكريم، وبيانه، ومعانيه، وأساليبه، وصوره، وكيف يصور واقع الإنسان، وهمومه، وأحواله، ونفسيته، وما يعانيه من المآسي والويلات، وما في نفسه من الخير والشر، ويقدم له العلاج الناجع، والبلسم الشافي، وما يحقق له السعادة في الدنيا والآخرة.

ولكن للأسف الأمر شديد وصعب؛ فالصراع الدائر في المجال الأدبي صراع شرس، فكل مفاتيح الأدب الرسمي في أيدي العلمانيين والشيوعيين، وهم يُشْهرون أي فتى أو فتاة حتى لو كان ضعيفًا في الإملاء والكتابة، ما دام يثور على محارم الله وشريعته، بدعوى «الخروج على التابوهات»، فيظهرونه في الإعلام، ويحصل على الجوائز، أما المواهب الإسلامية، فيحاربونها، لدرجة أنه لم

يحصل أديب إسلامي في مصر خلال ربع القرن الماضي على جائزة، مهما وصل في الموهبة والإتقان.

لذلك؛ يحتاج الأدب الإسلامي إلى أدباء من نوعية خاصة، يملكون الموهبة والدراسة؛ حتى يُفْحِموا الأدعياء بموهبتهم وإتقانهم.

ومن ثم؛ نحتاج إلى أديب ذي ملكة فنية أرقى من تلك التي يحتاجها أديب غير ملتزم؛ حتى يحوِّل المألوف في عرف الأدب مما يخالف العقيدة إلى غير مألوف، والخير إلى شيء باهر جذَّاب، نريده ساحر البيان، وحكيم الزمان.

أما بالنسبة لهذا الديوان «ملحمة حر»، فيبدو من خلال قصائده المدى الذي وصل له تجبُّر الطغاة مع أصحاب الفكر الإسلامي، من اضطهاد وتعذيب واعتقال، لدرجة أني مكثت ما يربو على أحد عشر عامًا في المعتقلات دون تهمة واحدة أو رؤية النيابة أو القضاء، وحين تم اعتقالي وأنا طالب بالفرقة الثانية

بكلية الهندسة، وجدوا قصيدة أتحدث فيها عن الشهادة في سبيل الله، فأخذها الجيش الذي أتى لاعتقالي كلٌّ منهم يقرؤها ويعطيها لزميله، وكأنهم أمسكوا بقنبلة!!

وتفجَّرت في السجن أجمل أشعاري، التي ضاع كثير منها بسبب منع الأقلام والأوراق سنوات طويلة، ولم يبق منها إلا ما حفظتْه ذاكرتي لسنوات طويلة، أترنَّم بكلماتها كل مدة؛ حتى لا تهوي في بئر النسيان وتلحق بأخواتها.

ومن العجائب أني لم أدرس العروض على يد أحد، وأذكر هنا مقولة أحد الشعراء الفرنسيين: «الألم يفجر الشعر ويفجر العبقرية»:

وَزْنُ شِعْرِي نَغْمُ السِّيَاطِ حَزِينًا ... تُلْهِبُ الظَّهْرَ مِنْ أَبِيٍّ مُهَانِ
وَزْنُ شِعْرِي سُكُونُ لَيْلٍ رَهِيبٍ ... فِي سُجُونٍ تَنُوءُ بِالْحَيَوَانِ
وَزْنُ شِعْرِي آهَاتُ حُرٍّ صَرِيعٍ ... وَصُرَاخُ الْجِرَاحِ وَالسَّجَّانِ
وَزْنُ شِعْرِي صَوْتُ الإِبَاءِ يُنَادِي ... لا أُبَالِي بِالْقَتْلِ أَوْ بِالْهَوَانِ

وأيضًا يتعرض هذا الديوان لفترات مختلفة في حياتي، وقد كتبت في مختلف الأغراض الشعرية، وحاولت أن أبتكر قصائد وتعابير وصورًا أحسب أني لم أُسبَق إليها؛ مثل قصائد «لو تصعدين إلى القمر»، و«عندما بكى وبكيته الكتاب»، و«عيون..»، وغيرها، ومن المعلوم أن من يقفون ضد الأدب الإسلامي يصفون الأدباء الإسلاميين بالوعّاظ، وأنهم يخاطبون العاطفة الدينية لدى المتلقين، وأظن أن في ديواني هذا ردًّا مفحمًا.

أما بالنسبة للعروض، ففي هذا الديوان زِحافان استعملتُهما مستحسنًا لهما، مخالفًا جلَّ شعراء العصر الحديث، وهما:

١ - قبض مفاعيلن في حشو الطويل:

- فقد اعتبره د.إبراهيم أنيس «صورة نادرة لا تستريح إليها الآذان، وقد رويت في بعضَ أبيات الشعر القديم، ولكنا لا نكاد نراها في شعر حديث، فقد رويت في معلقة امرئ القيس عشر مرات، وجاءت هذه الصورة في معلقة زهير أربع مرات، وفي

معلقة طرفة ثمان مرات، ومع هذا فنحن نشعر بثقل هذه الصورة في حشو البيت، ولعل انحرافًا في رواية المعلقات هو الذي جاءنا بتلك الحالات التي رويت في شعر الجاهليين».

- هذا الزحاف الذي استثقله الدكتور إبراهيم أنيس، وحاول أن يغيِّر من رواية الأبيات التي جاء فيها هذا الزِّحاف؛ بدعوى أنها روايات محرَّفة - قد استحسنه الخليل وسائر العروضيين - ما عدا المعري - وورد في عيون الشعر الجاهلي والمعلقات، ومن الباحثين من أعد جدولاً إحصائيًّا، وجد فيه أن امرأ القيس استعمله ٨٤ مرة، والنابغة ٢٢ مرة، وزهيرًا ٤٠ مرة، والأعشى ٣٢ مرة، ولسنا بصدد ذكر الأبحاث والمراجع، ولكني أدلِّل على صحة أذن الخليل، وأذني.

- على كراهة المعري للقبض في حشو الطويل، اعتبر أنه «قلَّ ما تسلم قصيدة جاهلية بنيت على الطويل من أن يستعمل فيها قبض السباعي، أما امرؤ القيس فكثير الاستعمال له، وأما النابغة وزهير وأعشى قيس، فيستعملون ذلك دون الملك الضليل»، بل

إن المعري خاطب امرأ القيس في رسالة الغفران بقوله: «وبعض المعلمين ينشد قولك:

من السيل والغُثاء فلكةُ مغزلِ

فيشدِّد الثاء، فيقول (أي: امرؤ القيس): »إن هذا لجهول، وهذا البائس أراد أن يصحِّح الزنة فأفسد اللفظ»، فهو هنا ينكر على المعلمين والرواة تشديد ثاء (الغُثاء)؛ هروبًا من قبض مفاعيلن وتصحيحًا للزنة، ويعتبر عملهم إفسادًا للغة».

- وأتى أبو تمام بهذا الزحاف في العصر العباسي، ولم يشعر بحرج، ولا اضطراب موسيقي فى قوله:

ألنَّا الأكفَّ بالعطاء فجاوزت

مدى اللين إلا أن أعراضنا الصخر

ويقول أبو تمام فى قصيدة أخرى:

نُجُومٌ طَوَالِعُ جِبَالٌ فَوَارِعُ غُيُوثٌ هَوَامِعُ سُيُولٌ دَوَافِعُ

فاستخدم «مفاعلن» فى حشو البيت مرتين فى بيت واحد،

وجاءت العروض على الوزن نفسه «مفاعلن»، والضرب جاء على الوزن نفسه «مفاعلن»، ومع ذلك لم نشعر باضطراب موسيقي؛ بل حسن التقسيم عند أبى تمام، أو لجوءه إلى فن صيغ البيت بصيغة موسيقية زاهية متموجة.

وهذه الدلائل تجعلنا نقبل « مفاعلن» فى حشو البيت ولا نرفضها، ولا نتهم أشعار الأقدمين بضعف الرواية وفسادها؛ ولا نقبل بأذن الخليل بن أحمد – إذ استحسنه - بديلا.

٢ - خبن مستفعلن في حشو البسيط:

- اشتهر الآن بين الشعراء أن خبن (مستفعلن) في البسيط يجوز في أول تفاعيل الصدر والعجز، ويقبح في غير ذلك، ومنهم من يقبِّح خبن مستفعلن الأخيرة التي في العجز فقط. وأقول : خبن مستفعلن في البسيط استحسنه الخليل وسائر العروضيين، وحتى لا أطيل أذكر أمثلة وردت فيها مستفعلن مخبونة، منها قول النابغة الذبياني:

سَـراتُـهُ ما خَلا لَبانَهُ لَهِقٌ وَفي القَوائِمِ مِثْلُ الوَشْمِ بِالْقارِ

وقال أيضًا:

قَالَتْ أَلا لَيْتَمَا هَذا الحَمامُ لَنا إِلى حَمامَتِنا وَنِصفُهُ فَقَدِ

وقال أيضًا:

وَقُلْتُ يا قَومُ إِنَّ اللَيْثَ مُنقَبِضٌ عَلى بَراثِنِهِ لِوَثْبَةِ الضَّاري

وقال الأعشى :

عُلِّقْتُهـا عَرَضـًا وَعُلِّقَـتْ رَجُـلاً

غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَها الرَجُلُ

وكما ذكرت أن الخليل وتبعه سائر العروضيين استحسنوا هذا الزحاف، فلا داعي للتشدد في تقبيحه.

وأخيرًا: أتمنى أن يكون هذا الديوان إضافة – لا تكرارًا – للشعر وأغراضه المختلفة، وأن يكون نموذجًا مبتكرًا وقمينًا بلقب «الشعر الإسلامي».

عبدالحميد ضحا

فَلْسَفَتِي فِي الْحَيَاة

أَرَى الـدُّنْيَا بُكَـاءً حِـينَ عُـرْسِ
وَمَهْـمَا غَـيَّرَتْ يَـوْمِي كَأَمْـسِي
تَبَـسَّمُ بَعْـضَ حِـينٍ ثُـمَّ تَـأْتِي
جِنَايَتُهَـا لِتُـوهِنَ عِـزَّ نَفْـسِي
فَـذِي لَـذَّاتُهَا تَلِـدُ الْبَلايَـا
وَذَاكَ الـسَّعْدُ عَاقِبَـةٌ لِبُـؤْسِ
رُوَيْـدَكِ لا أَبَـا لَـكِ فَـاعْرِفِينِي
فَإِنَّ الـسَّعْدَ عِنْـدِي مِثْـلُ نَحْـسِي
أَرَى الْحُزْنَ الَّـذِي يُـدْمِي فُـؤَادِي
عَـدُوًّا لَمْ يَـرُمْنِ لِغَـيْرِ فَـرْسِي
فَـلا أُعْطِيـهِ مِـنْ نَفْـسِي نَقِـيرًا
وَلا يَلْقَـى بِقَلْبِـي غَـيْرَ حَـسِّ

وَإِنِّي إِنْ كُلِمْتُ مِنَ الْعَوَادِي

يَطِيبُ الْكَلْمُ ثُمَّ يَزِيدُ بَأْسِي

وَمَا هَذَا لِبَأْسِي بَلْ لأَنِّي

رَضِيتُ قَضَا الرَّحِيمِ فَزَالَ يَأْسِي

فَيَا دُنْيَا سَأَحْيَا فِيكِ حُرًّا

أَبِيَّ النَّفْسِ شَانِئَ كُلِّ جِبْسِ

أُوَاجِهُ مَوْجَكِ الْعَاتِي وَإِنِّي

لَمُنْتَصِرٌ وَإِنْ فَارَقْتُ رَأْسِي

أَغُوصُ بِيَمِّكِ اللُّجِّيِّ كَيْمَا

أَحُوزَ الدُّرَّ أَصْنَعَ مِنْهُ كَأْسِي

أُحَلِّقُ فِي سَمَائِكِ ثُمَّ أَغْزُو

جِنَانَكِ وَاضِعًا فِي الأَرْضِ غَرْسِي

مَلْحَمَةُ حُرٍّ

فِي الـدُّجَى هَـلْ رَأَيْـتَ فِكْـرَ طَرِيـدِ
لا يُبَـالِي طُغَـاةَ حُكْـمِ الْحَدِيـدِ؟
هَـلْ تُـرَاهُ يَنَـامُ لَـيْلاً طَـوِيلاً
فِي انْتِظَـارِ الْكِـلابِ تَعْـوِي بِبِيـدِ
أَوْ تُـرَاهُ يُقَطِّـعُ اللَّيْـلَ فِكْـرًا
فِي خَـلاصٍ لأُمَّـةٍ فِي الْقُيُـودِ؟
يَـا لَـهُ مِـنْ دُجًـى يَـسُودُ وَيَطْغَـى
مَـنْ لِفَجْـرٍ يَـأْتِي بِمَجْـدٍ تَلِيـدِ؟!
أَتُـرَاهُ يَـصِيرُ نَجْـمًا مُـضِيئًا
هَادِيًـا لِلأُبَـاةِ رَمْـزَ الـصُّمُودِ
أَمْ تُـرَاهُ كَـشَمْعَةٍ فِي ظَـلامٍ
هَاجَ رِيـحٌ عَـلَى ضِـيَاهَا الْبَـؤُودِ؟

هَجَمُوا كَالْكِلابِ كَي يَأْسِرُوهُ

أَسَرُوهُ كَأَسْرِ لَيْثٍ عَنِيدِ

أَوْثَقُوهُ وَعَصَّبُوا عَيْنَيْهِ

عَذَّبُوهُ وَلَيْتَهُمْ كَالْيَهُودِ

سَأَلُونِي تَكُونُ مَنْ؟ قلت: حرٌّ

إِنَّنِي حُرٌّ فِي دِيَارِ الْعَبِيدِ

أَطْرَقُوا دَهْشَةً وَبَهْتًا وَقَالُوا

كَيْفَ شَبَّ الأَبِيُّ بَيْنَ السُّجُودِ؟!

هَلْ مَكَثْتَ الْحَيَاةَ فِي أَرْضِنَا أَوْ

قَدْ أَتَيْتَ افْتِتَانَهُمْ مِنْ بَعِيدِ؟

أَرَضِعْتَ الْخُنُوعَ - لَسْتُ أُرَاكَهْ

أَمْ سَقَاكَ الإِبَاءَ بَعْضُ الْوُغُودِ؟

كَيْفَ رُمْتَ التَّحَدِّيَ انْطِقْ أَجِبْنَ

سَفَهًا مِنْكَ أَمْ لِجَهْلِ الْوَعِيدِ؟

فَتَبَسَّمْتُ ثُمَّ قُلْتُ: رُوَيْدًا

لِمَ صِرْتُمْ كَذِي مُصَابٍ شَدِيدِ؟!

أَوَخِلْتُمْ حُرًّا أَبِيًّا يَهَابَنْ

أَيَّ بَأْسٍ وَلَوْ بِقَطْعِ الْوَرِيدِ؟!

كُنْتُ عَبْدَ الدُّنْيَا وَحُرِّرْتُ لَمَّا

بِعْتُ نَفْسِي وَرُمْتُ دَارَ الْخُلُودِ

فَأَنَا الْحُرُّ صِرْتُ حُرًّا بِدِينِي

وَعَدُوًّا لِكُلِّ طَاغٍ مَرِيدِ

وَأَنَا الْحُرُّ وَالْمُحَرِّرُ قَوْمِي

وَأَنَا مَنْ يُعِزُّ دِينَ الْمَجِيدِ

كَمْ يَغِيظُ الثَّبَاتُ قَوْمًا مُنَاهُمْ

أَنَّ حُرًّا يُثْنَى بِبَأْسٍ مَزِيدِ

عَذَّبُونِي بِقَسْوَةٍ ثُمَّ قَالُوا

أَيُّ حُرٍّ جَزَاؤُهُ كَالْحَصِيدِ

أَتَرُومُـونَ بَعْـثَ شَـعْبٍ خَنُـوعٍ؟!
ذَاكَ شَـعْبُ الرُّقَـادِ مُنْـذُ الْعُهُـودِ

هَـلْ حَـسِبْتُمْ عُيُونَنَـا قَـدْ تُغَـافِي؟!
هَلْ دَرَيْتُمْ مَا عِنْدَنَا مِـنْ جُنُـودِ؟!

مَـنْ يَـذُقْ بَعْـضَ نَارِنَـا - قَـدْ رَأَيْتَـهْ
يَتَـبَرَّأْ مِـنْ كُـلِّ وَغْـدٍ عَنِيـدِ

فَتَحَامَلْـتُ ثُـمَّ قُلْـتُ: زَعَمْـتُمْ
ذِي دَعَـاوَى سَـتَنْتَهِي لِلْخُمُـودِ

غَـرَّكُمْ قِلَّـةُ الأُبَـاةِ وَخِلْـتُمْ
أَنَّ فِي نَـارِكُمْ هَـلاكَ الأُسُـودِ

رُبَّ حُـرٍّ يُحَـرِّرُ النَّـاسَ قَتْلُـهْ
فَوْقَ مَـا يَجْنِـي فِي مِئَـاتِ الْعُقُـودِ

ذَهَـبٌ هُـمْ تَزِيـدُهُمْ نَـارُكُمْ هَـا
ذِي نَقَـاءً وَكُـلَّ وَصْـفٍ حَمِيـدِ

إِنْ تَكُــنْ نَــارُكُمْ هَلاكًــا فَإِنَّــا

فِي ثَبَــاتٍ وَفِي نَــمَاءٍ مَدِيــدِ

أَطْرَقُــوا فِي يَــأْسٍ وَحُــزْنٍ وَقَــالُوا

أَوَيَحْيَــا الرُّقُــودُ بَعْــدَ الرُّقُــودِ؟!

إِنْ يَكُــنْ أَحْــرَارُ الْــبِلادِ قَلِــيلاً

فَــسَيُحْيُونَ شَــعْبَهُمْ مِــنْ جَدِيــدِ

اسْــجِنُوهُ وَكُــلَّ حُــرٍّ عَنِيــدٍ

لا لِحُــرٍّ يَعِــيشُ بَــيْنَ الْعَبِيــدِ

قَيْدِي يُحَدِّثُنِي

دَعَانِي الْقَيْدُ يَا حُرُّ ... أَلا يَثْنِيكَ ذَا الْقَهْرُ؟!
أَلَمْ تُوهِنْكَ ذِي الأَهْوَا ... لُ لَمْ يُوهِنْكَ ذَا الأَسْرُ؟!
فَكَمْ سَوْطٍ عَلَى الظَّهْرِ الْـ ... ـجَرِيحِ كَأَنَّهُ الْجَمْرُ!
وَكَمْ ضَيَّعْتَ فِي الأَسْرِ السِّـ ... ـسِنِينَ وَهَا هِيَ الْعُمْرُ!
وَكَمْ يَوْمٍ يَمُرُّ وَقَدْ ... هَوَى مِنْ هُونِكَ الْقَطْرُ!
وَلَوْ كُنْتَ الدَّمِيعَ لَقَدْ ... جَرَى مِنْ دَمْعِكَ الْبَحْرُ!
وَكَمْ ظَمَأٍ وَجُوعٍ لَوْ ... لِجُمْلٍ مَا لَهَا صَبْرُ!

* * *

أَيَا قَيْدِي أَنَا الْحُرُّ ... فَإِنْ أَكُ ذَا فَمَا السِّرُّ؟
إِذَا لَمْ أَلْقَ أَهْوَالاً ... فَمَا عَبْدٌ وَمَا حُرُّ
فَيَلْقَى الْحُرُّ مَا يُرْدِي ... كَأَنْ مَا ضَرَّهُ ضُرُّ
وَعِنْدَ نَجَاتِهِ يَزْهُو ... كَمَلْكٍ نَالَهُ النَّصْرُ

وَإِنْ يَهْلِكْ فَلِلأَحْرَا ... رِ رَمْزٌ فِي الدُّجَى بَدْرُ

يَمُوتُ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... وَلا يُمْحَى لَهُ ذِكْرُ

وَفِي الْفِرْدَوْسِ مَثْوَاهُ ... نَعِيمٌ مَا لَهُ دَهْرُ

وَذَا دَأْبِي مَعَ الأَهْوَا ... لِ صَبْرٌ بَلْ رِضًا نَذْرُ

وَذَاكَ الْعَبْدُ لا يَهْوَى الْـ ... ـمَعَالِيَ إِذْ بِهَا الْعُسْرُ

فَمَا مِنْ مَبْدَأٍ إِلاَّ ... حَيَاةٌ عَيْشُهَا يُسْرُ

* * *

فَقَالَ الْقَيْدُ يَا حُرُّ ... صَدَقْتَ وَإِنَّكَ الْبَرُّ

لَقَدْ صَاحَبْتُ أَقْوَامًا ... مِنَ الأَحْرَارِ هُمْ كُثْرُ

فَكُنْتُ الْمُبْكِيَ الْبَاكِي ... وَكَانَ لَهُمْ مَعِي أَمْرُ

* * *

أَلا يَا أَيُّهَا الْقَيْدُ ... كَفَى ذَمًّا لَكَ الْقَهْرُ

فَإِنَّكَ لِلطُّغَاةِ يَدٌ ... عَلَى أَحْرَارِنَا شَرُّ

لَقَدْ آلَمْتَ أَقْوَامًا ... لأَهْلِ الأَرْضِ هُمْ ذُخْرُ

* **

فَنَادَى الْقَيْدُ يَا حُرُّ ... أَنَا كَدَوَائِكُمْ مُرُّ
كَفَى فَخْرًا بِأَنِّي بِي ... يَبِينُ الْغِرُّ وَالْغُرُّ
فَمَنْ يَثْبُتْ فَذَا عِنْدِي ... رَبِيبٌ لِي بِهِ فَخْرُ
وَمَنْ يَهْوِي فَذَا حِمْلٌ ... هَوَى فَأَرَاحَ مَنْ بَرُّوا
إِذَا قَهْرًا أَكُونُ فَهَا ... أَنَا بِثَبَاتِكُمْ صِفْرُ

* **

أَيَا قَيْدِي لِمَ الأَحْرَا ... رُ دَوْمًا فِي الْوَرَى نَزْرُ

* **

أَجَابَ الْقَيْدُ يَا حُرُّ ... أَلا يَكْفِيكُمُ الدُّرُّ
جِبَالَ مَعَادِنٍ تَأْبَى ... وَتَهْوَى الدُّرَّ لا إِمْرُ
وَهَاكَ نَصِيحَتِي فَاثْبُتْ ... وَلا تَرْكَنْ لَكَ النَّصْرُ
وَكُنْ دَوْمًا مَعَ الأَحْرَا ... رِ ذَاكَ الْعِزُّ وَالْبِرُّ
عَسَى يَوْمًا بِأَيْدِيكُمْ ... يَزُولُ الظُّلْمُ وَالْكُفْرُ
وَيَأْتِي أُمَّةَ الإِسْلا ... مِ مِنْ أَيْدِيكُمُ الْفَجْرُ

شِعْرِي

وَدَّ شِعْرِي لَـوْ صَـارَ سَـيْفًا يُحَـامِي
عَنْ حِمَى قَـوْمِي عَـنْ حِمَـى الإِيـمَانِ

وَدَّ شِـعْرِي لَـوْ صَـارَ مِنْـهُ بُحُـورٌ
حِمَـمًا أَوْ لَظًـى عَـلَى الطُّغْيَـانِ

وَدَّ شِعْرِي لَوْ صَـارَ شَـاطِئَ بَحْـرٍ
لِـسَفِينِ الْمُفَكِّـرِ الْحَـيْرَانِ

وَدَّ شِـعْرِي لَـوْ صَـارَ بَيْتُـهُ مَـأْوًى
لأَبِيٍّ مِـنْ ذِلَّـةِ الْحِرْمَـانِ

ذَاكَ شِـعْرِي وَنَبْعُـهُ مِـنْ جَنَـانِي
ذَاكَ شِـعْرِي يَفُـوحُ مِنْـهُ بَيَـانِي

شِـعْرُ حُـرٍّ أَبَـى الْخُنُـوعَ وَيَرْجُـو
أَنْ يَـرَى رَبَّـهُ بِـأَعْلَى الْجِنَـانِ

وَزْنُ شِعْرِي نَغْمُ السِّيَاطِ حَزِينًا
تُلْهِبُ الظَّهْرَ مِنْ أَبِيٍّ مُهَانِ

وَزْنُ شِعْرِي سُكُونُ لَيْلٍ رَهِيبٍ
فِي سُجُونٍ تَنُوءُ بِالْحَيَوَانِ

وَزْنُ شِعْرِي آهَاتُ حُرٍّ صَرِيعٍ
وَصُرَاخُ الْجِرَاحِ وَالسَّجَّانِ

وَزْنُ شِعْرِي صَوْتُ الإِبَاءِ يُنَادِي
لا أُبَالِي بِالْقَتْلِ أَوْ بِالْهَوَانِ

* * *

صَارَ شِعْرِي رُوحًا تُقَارِنُ رُوحِي
صَارَ نَفْسِي وَفِكْرَتِي وَكِيَانِي

قَدْ جَعَلْتُ الْقَرِيضَ بَدْرَ اللَّيَالِي
نُورُهُ يَأْتِي مِنْ صَدَى وِجْدَانِي

وَجَعَلْتُ الْبُحُورَ مَسْبَحَ فِكْرِي
فَأَغُوصُ انْتِقَاءَ خَيْرِ الْجُمَانِ

إِنَّ فَخْرِي أَنْ صَارَ شِعْرِيَ سِحْرًا
يَبْعَثُ الشَّعْبَ مِنْ رَدَى الطُّغْيَانِ
وَالأُبَاةُ الأَحْرَارُ قَدْ أَشْهَرُوهُ
فِي وُجُوهِ الطُّغَاةِ مِثْلَ السِّنَانِ
وَعُتَاةُ الطُّغَاةِ قَدْ عَلِمُوهُ
كَوَقُودِ الأَحْرَارِ بَلْ نِيرَانِ

عُمْرِي لَحْظَةٌ

سَنَتِي كَيَوْمٍ بَلْ لَعَشْرِي سَاعَةٌ
مَرَّ الزَّمَانُ عَلَيَّ كَالأَحْلامِ
حُزْنٌ وَآلامٌ وَفَرْحٌ هَزَّنِي
ذِكْرَى مَعِي وَكَأَنَّهَا أَوْهَامِي
قَدْ عِشْتُ أَحْزَانِي تَمُرُّ كَلِيلَةً
وَالْفَرْحُ مَرَّ بِسُرْعَةِ الأَجْرَامِ
فَإِذَا انْقَضَى الأَحْزَانُ زَالَ زَمَانُهَا
لا فَرْقَ بَيْنَ الْفَرْحِ وَالآلامِ
أَيْقَنْتُ حِينِي أَنَّ عُمْرِي لَحْظَةٌ
لا فَرْقَ بَيْنَ الْيَوْمِ وَالأَعْوَامِ
مَضَتِ السِّنُونَ وَكُلُّهَا مِنْ لَحْظَتِي
وَأَعِيشُ مُنْتَظِرًا عِنَاقَ حِمَامِي

كَمْ مِنْ فَتًى عَاشَ الْحَيَاةَ كَأَنَّهُ
لَمْ يَأْتِ لِلدُّنْيَا كَمَا الأَنْعَامِ
وَفَتًى مُنَى الدُّنْيَا تَطُولُ حَيَاتُهُ
كَالشَّمْسِ كَالأَنْهَارِ كَالأَعْلامِ
فَسَمَاؤُهَا تَبْكِيهِ حِينَ وَفَاتِهِ
وَالأَرْضُ حَتَّى الأُسْدُ فِي الآجَامِ
يَحْيَا بِذِكْرٍ يَبْعَثُ الأَحْرَارَ قَدْ
صَارَتْ كَبَدْرٍ رُوحُهُ بِظَلامِ
وَلَقَدْ رَأَيْتُهُمَا فَأَضْنَانِي الْمُنَى
لَكِنَّ دَرْبَ الْحُرِّ دَرْبُ جِسَامِ
وَلَقَدْ هَوَيْتُ الْعَيْشَ رَأْسًا لِلإِبَا
فَهَدَمْتُ جُبْنِي وَابْتَنَيْتُ رِجَامِي
فَالْعُمْرُ فِي ضَيْمٍ كَعُمْرٍ فِي الإِبَا
وَالْمَوْتُ حُرًّا ذَاكَ كُلُّ مَرَامِي

هَلْ يَنْتَهِي لَيْلِي؟

لَـيْلِي طَوِيـلٌ وَهَـلْ تُـرَاهُ يُـشْقِينِي
وَاللَّيْـلُ يُـشْقِي وَمَـا حُـرٌّ بِمَغْبُـونِ
إِذَا ظَنَنْـتُ سَـوَادَ اللَّيْـلِ مُحْتَـضَرًا
إِذَا بِـهِ فِي الـصِّبَا يُـدْمِي وَيُـضْنِينِي
أَيْقَنْـتُ أَنَّ لِلَـيْلِي آخِـرًا وَدَنَـى
وَهَلْ تُـرَى أَنْتَهِـي أَوْ يَنْتَهِـي دُونِي؟
أُسَـامُ مُنْـذُ سِـنِينَ الْقَهْـرَ لَمْ أَهُـنِ
وَبِـئْسَ قَهْـرًا لِحُـرٍّ عَـيْشُ مَـسْجُونِ
كَـأَنَّنِي سَـابِحٌ فِي الْبَحْـرِ مُجْتَهِـدًا
وَمَـا لَـهُ شَـاطِئٌ هَـلْ ذَاكَ يَثْنِينِـي
إِنْ يَظْهَـرِ الـشَّاطِئُ الْمَـأْمُولُ أَسْـتَرِحِ
وَإِنْ حُرِمْتُ سَأَمْضِي، الْعَزْمُ يُغْنِينِـي

نَفْسِي تُحَدِّثُنِي: أَسْوِأْ بِأَنْ يَقَعَ الْـ

ـأَحْرَارُ فِي قَبْضَةِ الطُّغْيَانِ وَالْهُونِ

الأُسْدُ فِي الأَسْرِ وَالْكِلابُ عَاتِيَةٌ

وَاللَّيْلُ يَغْشَى وَذِي الأَهْوَالُ تُدْمِينِي

يَا نَفْسُ لاتَحْزَنِي لَوْ عِشْتُ مُعْتَصِمًا

بِالْحَقِّ هَلْ بَعْدَ ذَا الآلامُ تَعْنِينِي؟!

فِي الأَسْرِ أَحْيَا أُزَلْزِلُ الطُّغَاةَ وَهَلْ

يَسُوءُنِي الأَسْرُ؟ إِنَّ الأَسْرَ لِلدِّينِ

مَا دَامَ قَلْبِي طَلِيقًا مَا بِهِ حَزَنٌ

وَالْجِسْمُ إِنْ يَأْسِرُوهُ الْقَلْبُ يَحْمِينِي

إِنْ مَزَّقُوا جَسَدِي فَالْقَلْبُ لَمْ يَهُنِ

لَهُ رَجَاءٌ بِأَجْرٍ غَيْرِ مَمْنُونِ

أَمَا تَرَيْنَ الطُّغَاةَ مَا لَهُمْ حِيَلٌ

وَذَا الثَّبَاتُ كَنَهْرٍ دَامَ يَرْوِينِي

فَهُمْ يَرَاعٌ تَهُبُّ الرِّيحُ تَكْسِرُهُ

وَإِنَّنِي جَبَلٌ مَا الرِّيحُ تُؤْذِينِي

فَلا يَغُرَّنَّكِ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ فَلَنْ

أَرْضَى بِنَفْسٍ إِذَا الآلامُ تُرْدِينِي

وَأَنْتَ يَا لَيْلُ مَا زِلْنَا نَسِيرُ مَعًا

آلَيْتُ أَنِّي سَأَبْقَى غَيْرَ مَحْزُونِ

حُرًّا سَأَبْقَى أُعِزُّ دَعْوَتِي وَإِذَا

مَا مِتُّ حُرًّا فَذَاكَ الْمَوْتُ يُحْيِينِي

عِنْدَمَا بَكَى وَبَكَيْتُهُ الْكِتَابُ[1]

بَكَيْتُ وَهَلْ عَادَ يُجْدِي الْبُكَاءْ
نَسُونِي وَمَا نِلْتُ حَتَّى الْعَزَاءْ
فَكُنْتُ كَبَدْرٍ يُنِيرُ الدُّجَى
وَقَدْ نُسِيَ الْيَوْمَ بِالْكَهْرَبَاءْ
أَنَا جَنَّةٌ فِي الْوُجُودِ لِكَيْ
يَجُولَ الْوَرَى سَاعَةً فِي صَفَاءْ
وَقَدْ رَسَمُونِي عَلَى لَوْحَةٍ
فَزِدْتُ جَمَالاً وَزِدْتُ الْبَهَاءْ
هَلِ الرَّسْمُ يُغْنِي عَنِ الأَصْلِ أَوْ
لِرَسْمٍ مَعَ الأَصْلِ أَيُّ اسْتِوَاءْ؟

---

(١) هذه القصيدة كتبتها وكنت أشتاق لرؤية ورقة – ورقة واحدة فقط – مكتوبة.

أَنَـــا الأَصْـــلُ أَرْضِيَ بِي جَنَّـــةٌ

وَغَـيْرِي الْفُـرُوعُ لَهَـا بِي الـنَّمَاءْ

فَـإِنْ مِـتُّ مَـاتَ الْفُـرُوعُ وَإِنْ

مَرِضْـتُ فَهَـلْ لِلْفُـرُوعِ الـشِّفَاءْ

وَهَـلْ عَـاشَ فَـرْعٌ بِـدُونِي وَمَـا

أُلاقِـي مِـنَ الْقَـوْمِ إِلاَّ الْجَفَـاءْ

أَنَـا الْبَحْـرُ مَـائِيَ مَـاءُ الـذَّهَبْ

وَقَـاعِي بِـهِ الـدُّرُّ لَـيْسَ فَنَـاءْ

فَمَـنْ يَمْـدُدِ الْيَـدَ نَـالَ الـذَّهَبْ

وَمَـنْ غَـاصَ فَالـدُّرُّ نِعْـمَ الْجَـزَاءْ

أَنَـا النَّهْـرُ إِذْمَـا رَآنِي الـصَّدَى

سَـــيَنْهَلُ مِنِّـــيَ مَـــاءً رَوَاءْ

وَلَـوْلا الـشَّهَامَةُ مَـا جُـدْتُ بَـلْ

تَمَنَّعْـــتُ إِلاَّ مِـــنَ الأَوْفِيَـــاءْ

وَلَـيْسَ الْكَـرِيمُ يُجَـازِي بِـمَا

يُلاقِـي مِـنَ الْحُمْـقِ وَالْجُهَـلاءْ

وَضَـمَّدَ جُرْحِـي رِجَـالٌ لَهُـمْ

حَنِـينٌ وَشَـوْقٌ لِيَـوْمِ اللِّقَـاءْ

فَهُـمْ فَقَـدُونِي سِـنَينَ وَمَـا

كَفَقْـدِي لَـدِيهِمُ أَيُّ عَنَـاءْ

إِذَا مَـا رَأَى وَاحِـدٌ وَرْقَـةً

كَـأَنَّ الْمَـرِيضَ يَنَـالُ الـشِّفَاءْ

كَـأَنَّ الْفَتَـى جُوعُـهُ كَـالرَّدَى

رَأَى الضَّأْنَ يُشْوَى لَدَى الصَّحَرَاءْ

إِذَا خَـيَّرُوهُمْ بِـمَالِ الْـوَرَى

نَـصِيبًا مَعِـي كُنْتُـهُ لا مِـرَاءْ

وَلَـوْ لَمْ يَكُـنْ لأُنَـالَ ثَمَـنْ

سِوَى بَعْضِ عُمْـرٍ رَضُـوا بِالْوَفَـاءْ

أَنَـــا مِـــثْلُهُمْ غُرْبَـــةٌ فِي الْـــوَرَى
وَيَوْمًـــا يَكُـــونُ لِقَـــا الْغُرَبَـــاءْ

فَنَنْـــسَى الْجِـــرَاحَ وَهَـــذَا الأَسَـــى
وَنَحْيَـــا مَعًـــا دَائِـــمًا قُرَنَـــاءْ

وَلِلنُّـــورِ نَنْـــشُرُ نَمْحُـــو الـــدُّجَى
وَأَبْقَـــى وَيَبْقَـــى لِيَ الْفُـــضَلاءْ

عِيدُ أُمَّةٍ هَانَتْ

الْعِيـدُ يَبْكِـي وَالـسُّرُورُ حَـزِينُ
وَالْفَـرْحُ يَـدْمَى وَالْحَيَـاةُ تَهُـونُ
وَالْكُفْـرُ يَـصْرُخُ فِي الْبَرِيَّـةِ كُلِّهَـا
سَـأُبِيدُ أُمَّـةَ أَحْمَـدٍ وَأُهِـينُ
وَالْهُونُ نَاءَ بِحِمْلِ قَـوْمٍ قَـدْ رَضُـوا
بِالـضَّيْمِ عِـزُّهُمُ مَتَـى سَـيَحِينُ
قَدْ صَاحَ فِي قَـوْمِي كَفَـى رُحْمَـاكُمُ
هَـلاَّ سَـئِمْتُمْ ذُلَّكُـمْ فَـأَبِينُ
هَـلْ أَنْـتُمُ سَـمَكٌ بِبَحْـرٍ مَـا حَيَـا
فِي الـذُّلِّ دَوْمًـا عَيْـشُهُ مَـأْمُونُ؟!
لَمَّـا احْتَـسَيْتُمْ كَأْسَـهُ فِي نَـشْوَةٍ
أَدْمَنْتُمُـوهُ فَفِـي الْقُلُـوبِ مَكِـينُ

عَقَـرَتْ قُلُـوبَكُمُ وَأَفْنَـتْ عِـزَّكُمْ
مَاتَـتْ مُـرُوءَتُكُمْ فَبِـئْسَ الْهُـونُ

لَـوْ هَـبَّ حُـرٌّ بَيْـنَكُمْ صَـارَ الْقَتِيـ
ـلَ أَوِ الـشَّرِيدَ وَبِئْـسَمَا الْمَسْجُونُ

ذَاكُمْ جَزَاءُ الْبَدْرِ فِي لَيْلِ الدُّجَى؟!
أَبْـئِسْ بِقَـوْمٍ لَيْـثُهُمْ مَغْبُـونُ!

وَالْعِيـدُ يَـأْتِي كُـلَّ عَـامٍ بِالأَسَـى
حَتَّـى تَمَنَّـى لَـوْ أَتَـاهُ مَنُـونُ

قَدْ كُنْتُ أَكْسُو ذِي الْحَيَاةَ بِفَرْحَةٍ
وَسَـعَادَةٍ وَجْـهَ الْحَيَـاةِ أَزِيـنُ

فِي عِزَّةٍ أَلْقَـى الأَضَـاحِيَ مِـنْ طَـوَا
غِيـتِ الْـوَرَى هُـمْ وَالـشِّيَاهُ قَـرِينُ

فِي ذَا الزَّمَـانِ الْهُـونُ صَـارَ إِهَـابَكُمْ
شَابَ الـدِّمَاءَ عَـلَى الْقُلُـوبِ يَـرِينُ

فَكَسَوْتُمُونِي هُونكُمْ وَشَقَاءَكُمْ

وَكَأَنَّنِي زَمَنَ الْهَوَانِ شُجُونُ

هَلْ يَفْرَحَنْ قَوْمٌ طَغَى حُكَّامُهُمْ

وَالْكُلُّ يَسْجُدُ وَالأَبِيُّ سَجِينُ؟!

هَلْ يَفْرَحَنْ قَوْمٌ طَغَى أَعْدَاؤُهُمْ

أَرْبَابُهُمْ هُمْ سَاجِدٌ وَخَؤُونُ؟!

هَلْ يَفْرَحَنْ قَوْمٌ دِمَاهُمْ أَبْحُرٌ

رُخْصَ التُّرَابِ وَقَطْرُ غَيْرُ ثَمِينُ[1]؟!

لَكِنْ إِذَا انْتَفَضَ الأُبَاةُ لِتَعْلَمُوا

أَنِّي أَعُودُ مُبَشِّرًا فَأُعِينُ

وَإِذَا قَتَلْتُمْ هُونكُمْ تَجِدُونَنِي

مَعَكُمْ بِرُوحِي مَا الْفِرَاقُ يَكُونُ

فَإِذَا أَتَيْتُ كَسَوْتُمُونِي عِزَّةً

وَكَسَوْتُكُمْ فَرَحًا وَنِعْمَ الْحِينُ

---

(١) أي: وقطرُ غيرهم ثمين.

وَإِذَا طَوَاغِيتُ الْوَرَى أُضْحِيَّةً

سَيَعُودُ عُمْرِي لِلصِّبَا وَالدِّينُ

هَلْ يَرْجِعَنْ ذَاكَ الزَّمَانُ؟! لَرُبَّمَا

الْحُلْمُ يَصْدُقُ وَالْهَوَانُ يَبِينُ

مُسْلِمَةٌ تَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهَا

أَنَـــا رُوحُ أُمَّتِـــي وَدِرْعُ الْكُـــمَاةِ
أَنَـا امْـرَأَةٌ لَكِـنِّ رُعْـبُ عُـدَاتِي
أَنَـــا أُمَّـــةٌ لا الأُمُّ تُنْجِـــبُ وُلْـــدَهَا
وَلا شَـهْوَةٌ تَبْـدُو لَـدَى النَّظَـرَاتِ
أَنَـا الطُّهْـرُ فِي هَـذِي الْحَيَـاةِ وَعِفَّتِـي
تَفُـوحُ إِذَا مَـا سِرْتُ فِي الطُّرُقَـاتِ
وَهَذَا حِجَابِي الْحِفْظُ مِنْ سَـهْمِ غَـادِرٍ
كَـأَثْمَنِ دُرٍّ صِـينَ فِي الـصَّدَفَاتِ
أَنَـا مَـثَلِي الْخَنْـسَاءُ نَنْـصُرُ دِينَنَـا
وَأُمْنِيَّـــةُ الأَعْـــدَاءِ أَخْـــسَرُ ذَاتِي
أَسِيرُ عَلَى دَرْبِ الْهَـوَى أَمْقُـتُ التُّقَـى
حَيَاةَ الْهَوَى وَالْفِـسْقِ وَالْعَـاهِرَاتِ

أَرَادُوا حَيَـاتِي وَالْكُـؤُوسَ لِيُغْرِقُـوا
شَبَابَ الْهُدَى فِي الْفِسْقِ وَالْغَانِيَاتِ
أَرَادُوا مَـصِيرِي بِـئْسَ ذُلاً لأُمَّتِـي
وَبِئْسَ هَلاكُ الأُسْدِ فِي الشَّهَوَاتِ
يَزِينُـونَ لِي دَرْبَ الْغَوَايَـةِ وَالـرَّدَى
يَقُولُـونَ: إِنِّي نِـصْفُ مُجْتَمَعَـاتِي
أَلَمْ يُـدْرِكُوا أَنِّي أَنَـا الْقَـوْمُ كُلُّهُـمْ
أَنَـا رَحْمَـةٌ تُهْـدَى وَهَبْـتُ حَيَـاتِي
أَنَـا الـرُّوحُ بَعْثِـي لِلْحَيَـاةِ لأُمَّتِـي
وَقَدْ ظَنَّهَـا الأَعْـدَاءُ دُونَ الرُّفَـاتِ
سَـأُنْجِبُ أَبْطَـالاً يُعِيـدُونَ مَجْـدَنَا
جُيُوشًـا مِـنَ الْقَعْقَـاعِ عِـزَّ الْكُـمَاةِ
سَأُرْضِـعُهُمْ حُـبَّ الـشَّهَادَةِ وَالتُّقَـى
وَنُـصْرَةَ إِسْـلامِي وَبَـأْسَ الأُبَـاةِ

أَنَـا النُّـورُ بِي تَفْنَـى دَيَـاجِيرُ لَيْلِنَـا

سَـآتِي بِـأَقْمَارٍ تُـضِي الظُّلُـمَاتِ

وَيَوْمًـا سَـآتِي بِالـشُّمُوسِ لِتُنْهِـيَ الْـ

ـلَيَالِي الأَسَـى وَالـذُّلَّ وَالـنِّقَمَاتِ

رِثَاءُ الشَّيْخِ أَحْمَدَ يَاسِين

بَكَتِ الْعُيُونُ وَلاتَ حِينَ بُكَاءِ
الْحِينُ حِينُ مَدَافِعٍ وَدِمَاءِ
شَيْخًا قَعِيدًا يَقْذِفُونَ لِيَسْعَدُوا
عَجِبَ الْوَرَى مِنْ خِسَّةٍ وَغَبَاءِ
وَمَتَى الصَّوَارِيخُ الْبَئِيسَةُ زَلْزَلَتْ
جَبَلاً؟! فَيَا لَتَعَاسَةِ الْجُبَنَاءِ!
قَتَلُوكَ يَا رَمْزَ الصُّمُودِ فَقَدْ رَأَوْا
جَبَلاً سَمَا مِنْ عِزَّةٍ وَإِبَاءِ
وَرَأَوْكَ نَهْرًا يَرْتَوِي مِنْهُ الْهُدَى
أَبْطَالُ أُمَّتِنَا وَكُلُّ فِدَائِي
وَرَأَوْكَ نَجْمًا ثَائِرًا تَهْدِي إِلَى
دَرْبِ الْجِهَادِ وَرِفْعَةٍ وَوَفَاءِ

وَرَأَوْكَ بَـدْرًا فِي ظَـلامِ دَامِـسٍ
لِتَظَـلَّ أُمَّتُنَـا بِغَـيْرِ ضِـيَاءِ
وَرَأَوْكَ لَيْثًـا إِنْ زَأَرْتَ تَزَلْزَلُـوا
وَلَـئِنْ رَنَـوْتَ فَـرُعْبُهُمْ كَظِبَـاءِ
وَرَأَوْكَ رُوحًا تَبْعَثُ الأَمْـوَاتَ مِـنْ
قَـبْرِ الْهَـوَانِ وَذِلَّـةِ الْعُمَـلاءِ
كَانَـتْ خِيَـانَتُهُمْ كَعَـاهِرَةٍ تُجَـا
هِـرُ بِالعَفَـافِ بِطُهْرِهَـا بِحَيَـاءِ
كَـانَ الخِيَانَـةُ كَـالنُّجُومِ دَفَنْتَهَـا
فِي الأَرْضِ حِـينَ أَتَيْـتَ بِالـشُّرَفَاءِ
كَانَ الغِنَاءُ عَـلَى الجِـرَاحِ وَهَـا هُـمُ
يَتَرَاقَـصُونَ عَـلَى أَسَـى الأَشْـلاءِ
هَـذِي حَيَاتُـكَ ثُـمَّ مَوْتُـكَ كَـشَّفَا
عَـوْرَاتِهِمْ وَفُجُـورَهُمْ بِجَـلاءِ
أَوَلَمْ يَـرَوْا تِلْـكَ الـدِّمَا كَـمْ أَنْبَتَـتْ
فِي أَرْضِـنَا مِـنْ زُمْـرَةِ الـشُّهَدَاءِ

كَيْفَ الْكَلامُ يَصِيرُ حَيًّا بَيْنَنَا

لا فَرْقَ بَيْنَ الْحُمْقِ وَالْبُلَغَاءِ

كَيْفَ الْقَعِيدُ يَصِيرُ لَيْثًا فِي الْوَغَى

وَجُيُوشُنَا كَالشَّاةِ فِي خُيَلاءِ

كَيْفَ الأَبِيُّ يَصِيرُ أَشْلاءً فَنَتْ

فَتَصِيرَ مِيتَتُهُ مُنَى الْكُرَمَاءِ

يَا فَخْرَ أُمَّتِنَا وَرُعْبَ عُدَاتِنَا

يَا مَنْ رَمَيْتَ ظَلامَنَا بِضِيَاءِ

يَا أَيُّهَا اللَّيْثُ الْمُوَدِّعُ بُؤْسَنَا

يَا مَنْ بَكَتْكَ قُلُوبُنَا بِدِمَاءِ

يَا مَنْ بَكَتْكَ الأَرْضُ كَالثَّكْلَى وَذِي

أُسْدُ الشَّرَى تَبْكِيكَ فِي الأَنْحَاءِ

يَبْكِيكَ أَحْرَارُ الْوَرَى وَأُبَاتُهُمْ

يُؤْسِي الْجِرَاحَ رَجَاءُ يَوْمِ لِقَاءِ

حوار بين ليفني ومبارك بشأن غزة[1]

هَـــلاَّ مُبَـــارَكُ زِدْتَنَـــا ... مِنْ فَـضْلِ خَـيْرِكُمُ الـدَّفِينْ
فَلْتُعْطِنَـــا مِـــنْ لَحْـــمِ غَـــزْ ... ـــزَةَ مِـنْ دِمَـاءِ الْمُسْلِمِينْ

* * *

أَظَنَنْـــتِ – لِفْنِـــي – أَنَّنِـــي ... عَـــنْ نَـــصْرِكُمْ أَبَـــدًا أَلِـــينْ
أَنَـــا حَرْبَـــةٌ فِي سَاعِدَيْـــ ... ـــكِ مَتَى رَمَيْتِ سَتُنْصَرِينْ
أَنَـــا كَالحِـــذَاءِ بِـــرِجْلِكُمْ ... لَكِنَّنِـــــي لا لا أَبِـــــينْ
أَوَمَـــا رَأَيْـــتُمْ فَجْـــرَتِي؟! ... صَـــارُوا جَمِيعًـــا جَـــائِعِينْ
وَحَـــرَمْتُهُمْ حَتَّـــى الـــدَّوَا ... ءَ جَعَلْـــتُهُمْ فِي الأَسْـــفَلِينْ
وَوَدِتُّ لَـــوْ مُنِـــعَ الهَـــوَا ... ءُ فَأَسْـــتَرِيحَ وَأَسْـــتَكِينْ

* * *

---

(١) كتبتها أثناء الحملة الصهيونية على غزة، وقد أعلنتها ليفني من مصر، ويا لها من مأساة!

شُـــكْرًا مُبَـــارَكُ لا نُوَفْـــ ـــفِي كَلْبُنَـا أَنْـتَ الأَمِـيْنْ
لَـولاكَ مَـا حُرِمُـوا الطَّعَـا مَ وَلا الـدَّوَاءَ وَلا المُعِـيْنْ
سَـنُرِيكَ مَـا يَـرْوِي غَلِيـ ـــلَكَ مِـنْ دِمَـاءِ المُـؤْمِنِيْنْ
سَـتَرَى الثَّكَـالَى وَالطُّفُـو لَـةَ فِي الْقُبُـورِ مُمَـزَّقِيْنْ
سَـنُرِيكَ أَحْـلامَ الطُّفُـو لَـةِ فِي الْعَوِيـلِ وَفِي الأَنِـيْنْ
سَـنُرِيكَ أَشْـلاءَ الأُسُـو دِ نُرِيـكَ أَحْـشَاءَ الجَنِـيْنْ
فَاهْنَـأْ وَلا تَحْـزَنْ سَـتَرْ وَى مِـنْ دِمَـاءِ المُـسْلِمِيْنْ

غزة.. لا تخرُّ مع الساجدين

أَنَــا غَــزَّةٌ أَيُّهَــا الخَــائِنُونْ
عَبِيــدَ الْيَهُــودِ حُمَــاةَ الْمُجُــونْ
أَنَــا غُــرَّةٌ فِي جَبِــينِ الإِبَــاءِ
أَنَــا قِــصَّةٌ كُــلُّ حَــرْفٍ مُبِــينْ
فَشِيدُوا جِـدَارًا مِـنَ العَـارِ صُـبُّوا
بِفُــولاذِكُمْ وَاخْلِطُــوا بِــالمَنُونْ
وَزِيـدُوا رَضِـيعِي وَطِفْـلِيَ جُوعًـا
وَسُمُّوا جِرَاحِـي وَجُبُّـوا الـوَتِينْ
أَعِـدُّوا طِـلاَءً مِـنَ الغِـلِّ يَجْـرِي
بِــأَعْمَاقِكُمْ فِي القُلُــوبِ مَكِــينْ
وَصُـبُّوا رَصَاصًـا عَـلَى كُـلِّ شِـبْرٍ
بِــأَرْضِي لِقَتْــلِ الثَّـرَى وَالجَنِـينْ

وَهَـاتُوا جُيُـوشَ الـوَرَى مَـانِعِينَ

نَـسِيمَ الهَـوَاءِ وَدَمْـعَ المُعِـينْ

فَهَـلاَّ عَلِمْـتُمْ - وَبِـئْسَ الجَهُـولُ

بِـأَنِّي لِنَهْـرِ الإِبَـاءِ مَعِـينْ

وَأَنِّيَ شَـمْسٌ لِبَـدْرِ الـصُّمُودِ

وَأَنِّي بِبَحْـرِ الهَـوَانِ سَـفِينْ

وَأَنِّي سَـجَدْتُ لِـرَبٍّ رَحِـيمٍ

فَكَيْـفَ أَخِـرُّ مَـعَ السَّاجِدِينْ؟!

وَكَيْـفَ أُبَـالِي وَنَـزْفِي إِبَـاءٌ

وَنَـزْفُ الـوَرَى ذِلَّـةٌ لا تَبِـينْ؟!

وَكَيْـفَ أُبَـالِي وَرَبِّي نَـصِيرِي؟!

فَـصُفُّوا جُيُوشًـا مِـنَ العَـالَمِينْ

سَأُرْضِـعُ طِفْـلِي إِبَـاءً وَتَقْـوَى

وَعِـشْقَ الـشَّهَادَةِ لَـسْتُ أَلِـينْ

أُدَاوِي مَرِيـــضِي دَوَاءَ الأُسُـــودِ

فَإِمَّـــا جَـــسُورًا وَإِمَّـــا المَنُـــونْ

وَأَمَّـــا أُسُـــودِي فَـــإِيمَانُهُمْ

يُزَلْـــزِلُ أَسْـــوَارَكُمْ وَالحُـــصُونْ

وَيَـــصْهَرُ فُـــولاذَكُمْ سَـــتَرَوْنَ

بِأَنْقَـــاضِ جُـــدْرَانِكُمْ يَـــأْكُلُونْ

فَجِـــدُّوا أَرُونِيَ طُغْيَـــانَكُمْ

وَإِنِّي أُرِيكُـــمْ مَعَـــانِي اليَقِـــينْ

وَعَهْـــدَ الخِيَانَـــةِ وَالغَـــدْرِ أَدُّوا

عَلَى خِزْيِكُمْ قَـدْ حَلَفْـتُ اليَمِـينْ

فَنَـــارُ الجِهَـــادِ وَقَـــدْ أُوقِـــدَتْ

سَـــتُحْرِقُ كُـــلَّ ذَلِيـــلٍ خَـــؤُونْ

يا قُدْسُ صبرًا

طُفْ خَاطِرِي عَـانِقِ الأَقْـصَى وَلا تَهِـمِ
وَابْكِ الْبُحُورَ دَمًا وَاذْرِفْ عَلَى الْحُرُمِ
بَلِّـغْ سَـلامِي وَشَـوْقِي وَاعْتَـذِرْ لِفَتًى
يَحْيَا أَسِيرًا فَلَـمْ يَمْلِـكْ سِـوَى الْكَلِـمِ
حَتَّـى قَرِيـضِي أَسِـيرٌ مِثْـلُ شَـاعِرِهِ
لَكِـنَّ يَوْمًـا سَيُـضْحِي فِيـهِ كَـالْحِمَمِ
ثَـارَ الْحَنِـينُ إِلَى الأَقْـصَى إِلَى قُـدُسِي
شَـوْقِي وَوَجْـدِيَ نِـيرَانٌ مِـنَ الأَلَمِ
قَـدِ اسْـتَحَالَ اللِّقَـا وَالـشَّوْقُ يَـدْفَعُنِي
وَذِي الْحُـدُودُ سُـجُونٌ فَـارْوَ بِـالْحُلُمِ
فَقَطْـرُ مَـاءِ الْفَتَـى فِي الْبِيـدِ يُنْقِـذُهُ
وَالْحُلْـمُ يُـسْلِيهِ فِي أَسْرٍ وَفِي الْغَمَـمِ

فَاحْمِلْ ثَرَاهَا وَقَبِّلْ أَرْضَهَا وَقِفَا

بِالصَّخْرَةِ اذْكُرْ زَمَانَ الْعِزِّ وَالْكَرَمِ

اذْكُرْ زَمَانَ صَلاحٍ وَابْكِ مِنْ زَمَنٍ

عَلا الطُّغَاةُ وَأَهْلُ البَغْيِ فِي الأُمَمِ

قَدْ وَحَّدُوا صَفَّهُمْ؛ هَلْ كَانَ بَيْنَهُمُ

إِلاَّ الْقَضَاءَ عَلَى الإِسْلامِ مِنْ ذِمَمِ؟!

وَالْعُرْبُ حُكَّامُهُمْ أُسْدٌ إِذَا وَقَفُوا

ضِدَّ الشُّعُوبِ الَّتِي أَضْحَتْ كَمَا الرِّمَمِ

قَتْلٌ وَتَعْذِيبُ أَحْرَارٍ وَبَأْسُهُمُ

مَا لانَ يَوْمًا فَلا نِدٌّ لِذِي الْهِمَمِ

فَلَوْ أَتَاهُمْ صَلاحُ الدِّينِ لانْتَفَضُوا

فَصَارَ فِي الأَسْرِ أَوْ رَدُّوهُ لِلرَّجَمِ

وَصَارَ عِنْدَهُمُ رَأْسَ التَّطَرُّفِ وَالْـ

ـإِرْهَابِ صَارَ عَمِيلاً بَاغِيَ الْحُكُمِ

أَمَّـا إِذَا وُقِفُـوا ضِـدَّ الْيَهُـودِ فَلَـنْ

تَـرَاهُمُ غَـيْرَ قُطْعَـانٍ مِـنَ الْغَـنَمِ!

فَـالْحَرْبُ (فَـرٌّ وَفَـرٌّ) عِنْـدَهُمْ أَبَـدًا

جُيُوشُـهُمْ دِرْعُهُـمْ مِـنْ ثَـوْرَةِ الْعَمَـمِ

هُـمُ الطُّغَـاةُ رُؤُوسُ الـذُّلِّ كَيْـدُهُمُ

كَيْـدُ الـشَّيَاطِينِ أَجْـسَادٌ مِـنَ الظُّلُـمِ

قَدْ حَـارَبُوا رَايَـةَ الإِسْـلامِ وَاخْتَرَعُـوا

لِلْعُـرْبِ رَايَـاتِ طُغْيَـانٍ وَذُلِّهِـمِ

وَكُلَّـمَا مَـرَّتِ الأَيَّـامُ مَـا حَكَمُـوا

نَهْـوِي بِـأَعْمَاقِ بَحْـرِ الْهُـونِ وَالـنِّقَمِ

طُفْ خَاطِرِي عَانِقِ الآهَاتِ مِنْ دَمِهَـا

آلامُهَـا تَـسْفِكُ الآهَـاتِ مِـنْ أَلَمِـي

وَاجْعَلْهُـمَا لَعْنَـةً تُـرْدِي الطُّغَـاةَ وَمَـنْ

خَـانَ الْعُهُـودَ وَمَـنْ يَحْيَـا كَـمَا الـنَّعَمِ

تُسَطِّرُ اليَوْمَ فِي التَّارِيخِ مَلْحَمَةً
رَغْمَ الخِيَانَةِ وَالإِجْرَامِ وَالغَمَمِ

نِسَاؤُهَا قَدْ نَسَجْنَ العِزَّ أَرْدِيَةً
تَكْلَى وَأَرْمَلَةٌ حَمَّالَةُ اليُتُمِ

غَرْقَى بِبَحْرِ الأَسَى وَلا صَرِيخَ يُرَى
صِرْنَ الجِبَالَ مِنَ السُّلْوانِ وَالهِمَمِ

أَحْيَيْنَ عَهْدًا فَصِرْنَا اليَوْمَ نُبْصِرُهُ
وَقَبْرُهُ كَانَ بَيْنَ القَصِّ وَالحُلُمِ

أَضْحَيْنَ خَنْسَاءَ فِي بَذْلٍ وَتَضْحِيَةٍ
أَضْحَيْنَ هُنَّ لَنَا كَالنُّورِ فِي الغَسَمِ

أَهْدَيْنَ جِيلاً مِنَ الأَبْطَالِ أُمَّتَنَا
أَرْضَعْنَهُ عِزَّةَ الأَحْرَارِ وَالصِّمَمِ

كَمْ يُحْرِقُونَ مِنَ الأَطْفَالِ فَرْحَتَهُمْ
يُتْمٌ وَتَشْرِيدٌ اوْ يَحْيَوْنَ فِي الرَّجَمِ

لَكِـنْ أُولاءِ بَنُـو الخَنْـسَاءِ وَا عَجَبَـا

بُكَـا الرَّضِـيعِ زَئِـيرٌ رَاعِـبُ العُجُـمِ

صِـبْيَانُهَا كَأَسُـودٍ لا تَهَـابُ رَدًى

يَـا لَلْحِجَـارَةِ مِـنْ بَـأْسٍ وَمِـنْ غُـنُمِ!

يَا لَلأَيَـادِي الَّتِـي تُلْقِـي بِهَـا سَـلِمَتْ!

كَأَنَّهَـا بِالـضِّيَا تُلْقِـي عَـلَى الـدُّهُمِ

يَـا لَلنُّفُـوسِ الَّتِـي تُـشْرَى مُـضَحِّيَةً!

يَا لَلصُّدُورِ الَّتِي تَعْـرَى مِـنَ الـوَهَمِ!

يَـا لَلْـبَرَاءَةِ إِذْ ثَـارَتْ مُفَزِّعَـةً

يَا لَلْقُلُـوبِ الَّتِـي تَـصْفُو مِـنَ الهَـزَمِ!

شَـبَابُهَا غُـرَّةٌ فِي وَجْـهِ أُمَّتِنَـا

كَالنَّجْمِ فِي البِيـدِ أَوْ كَالْبَـدْرِ فِي الْعَـتَمِ

صَوْتُ القَنَابِلِ قَـدْ أَضْـحَى لَهُـمْ طَرَبًـا

يَـا أُمَّـةً غَرِقَـتْ فِي الـرَّقْصِ وَالـنَّغَمِ

عِـشْقَ الـشَّهَادَةِ قَـدْ فَاحَـتْ قُلُـوبُهُمُ

يَـا أُمَّـةً غَرِقَـتْ فِي العِـشْقِ وَالوَصَـمِ

هُـمْ كَالـصُّقُورِ فَلَـمْ تُخْطِـئْ فَرَائِـسَهَا

هُمْ كَالأُسُودِ فَلَمْ تَرْهَـبْ مِـنَ الأُمَـمِ

رُهْبَـانُ لَيْـلٍ لِتَعْجَـبْ مِـنْ مَـدَامِعِهِمْ

أَهُـمْ حَمَـائِمُ أَمْ أُسْـدٌ لَـدَى الأَجَـمِ؟!

أَمْ هُـمْ طَلائِـعُ بِـشْرٍ نَـصْرُ أُمَّتِنَـا

يَمْحُونَ عَهْـدًا مِـنَ الأَحْـزَانِ وَالـنِّقَمِ

بُـشْرَى النَّبِـيِّ هُـمُ تَحْيَـا القُلُـوبُ بِهِـمْ

لا يَعْبَـــؤُونَ بِخَـــوَّانٍ وَمُنْهَـــزِمِ

يَا قُدْسُ صَبْرًا فَذِي آهَاتُـكِ اسْـتَعَرَتْ

فِي نَفْـسِ كُـلِّ أَبِيٍّ نَـاءَ بِالـضَّيَمِ

دِمَاكِ أَغْـلَى عَـلَى الأَحْـرَارِ مِـنْ دَمِهِـمْ

غَـدًا تَثُـورُ عَـلَى الطُّغْيَـانِ كَـالْحِمَمِ

يَـا رَبِّ مِـنْ شُـعَرَائِهَا عُـدِمْتُ فَجُـدْ

وَاجْعَلْنِ مِنْ أُسْدِهَا فِي حَرْبِهَـا الحَـدَمِ

يَـا رَبِّ وَارْوِ ثَرَاهَـا مِـنْ دِمَـاءِ فَتًـى

يَرْجُـو لِقَاهـا نَـصِيرًا مُـوفِيَ الـذِّمَمِ

أَنَا شَاهِدٌ بَيْنَ الْوَرَى: النِّفْطُ أَغْلَى مِنْ دَمِكْ

معارضة لقصيدة الشاعر فاروق جويدة:
«بغداد لا تتألمي؛ من قال إن النفط أغلى من دمي»

أَنَا شَاهِدٌ بَيْنَ الْوَرَى
النِّفْطُ أَغْلَى مِنْ دَمِكْ
بَلْ مَاءُ بِئْرٍ آسِنٌ
حَتَّى الثَّرَى
الْكُلُّ أَغْلَى مِنْ دَمِكْ
بَلْ دَمْعَةٌ فِي عَيْنِ كَلْبٍ شَارِدٍ
أَوْ هِرَّةٍ
وَالشَّاةُ تُذْبَحُ كَمْ بَكَاهَا مِنْ فِئَامِ النَّاسْ

فَتَظَاهَرُوا وَتَجَمَّعُوا تَحْتَ الْجَلِيدْ

هَتَفُوا لَهَا... حَنُّوا لَهَا

وَكَأَنَّهَا طِفْلٌ وَلِيدْ

هَلْ يَسْمَعَنْ أَحَدٌ بِأَنَّ الْيَوْمَ يُبْكَى مِنْ دَمِكْ

كَمْ مِنْ نِسَائِكَ ذَبَّحُوا

أَوْ هُتِّكَتْ أَعْرَاضُهُنَّ

كَذَا الرِّجَالْ

كَمْ مِنْ رَضِيعٍ يُذْبَحُ

أَوَمَا رَأَيْتَ بِشَاشَةِ التِّلْفَازِ

كَيْفَ يَسِيلُ بَحْرٌ مِنْ دَمِكْ

وَنَهَارُ يَوْمِكَ مُظْلِمٌ

مِمَّا غَشَاهُ مِنْ هَوَانِكَ

كُلَّ يَوْمْ

الْبُوسْنَةُ الشِّيشَانُ بَلْ

فِي كُلِّ شِبْرٍ مِنْ دِيَارِ الْمُسْلِمِينْ

يَوْمٌ كَفَانَا فِي فِلَسْطِينْ

* * *

أَنَا شَاهِدٌ بَيْنَ الْوَرَى

النِّفْطُ أَغْلَى مِنْ دَمِكْ

مُذْ يَوْمِ أَنْ أُلْقِيتَ فِي بَحْرِ الْهَوَانِ

غَرِقْتَ فِيهِ

فَهَلْ عَلِمْتَ بِأَنَّ حَقَّكَ فِي الْحَيَاةِ قَدِ انْتَهَى

فَالْيَوْمَ تُذْبَحُ فِي أَمَانٍ فِي هَوَانْ

وَالْيَوْمَ عِرْضُكَ يُسْتَهَانْ

وَبُحُورُ هَذِي الأَرْضِ وَالأَنْهَارُ

تَجْرِي مِنْ دُمُوعِكَ مِنْ دِمَاكْ

وَتَظَلُّ دَوْمًا هَكَذَا

مَا لَمْ تُرِدْ

بَلْ تَسْعَ يَوْمًا لِلنَّجَاهْ

مِنْ بَحْرِكَ الْمَلْعُونِ

مِنْ بَحْرِ الْهَوَانْ

وَتَظَلُّ تُبْكَى دَمْعَةُ الْحَيَوَانْ

وَيَظَلُّ كُلُّ مُنَاكَ أَنْ

يَوْمًا تَصِيرُ دِمَاؤُكُمْ

كَدُمُوعِهِ

يَحْمِيهَا أَنْصَارُ الْحُقُوقِ مِنَ الطَّغَامْ

وَيَظَلُّ كُلُّ مُنَاكَ أَنْ

يَوْمًا تَصِيرُ كَمِثْلِ خِنْزِيرِ الْيَهُودِ

حِمَايَةً فِي مَجْلِسِ الظُّلَّامْ

فِي مَجْلِسِ الأَمْنِ الظَّلُومْ

* * *

أَنَا مَا رَأَيْتُ الْيَوْمَ أَرْخَصَ مِنْ دِمَائِكْ

دُنْيَاكَ تَشْهَدُ أَرْضُهَا

وَالنَّجْمُ يَشْهَدُ فِي سَمَائِكْ

وَالْكَوْنُ يَبْكِي حِينَ يَذْكُرُ مِنْ إِبَائِكْ

مُنْذُ الْقُرُونِ الْغَابِرَةْ

أَنَسِيتَ يَوْمًا قَدْ أَتَى الإِسْلامُ فِيهْ

لِيُعِزَّ قَوْمًا أَنْتُمُ لَهُمُ الشَّبِيهْ

كَانُوا شَرَاذِمَ مِثْلَكُمْ

وَهَوَانُهُمْ بَيْنَ الأُمَمْ

كَهَوَانِكُمْ

فَأَتَاهُمُ الإِسْلامُ عِزًّا فِي الْحَيَاةِ

عَلَوْا بِهِ

صَارُوا بِهِ أَسْيَادَ هَاتِيكَ الأُمَمْ

فَبَصَرْخَةٍ مِنْ بَاكِيَةْ

الأَرْضُ يَكْسُوهَا اللَّهِيبْ

وَسُيُوفُهُمْ دَوَّى الصَّلِيلُ كَأَنَّهُ الرَّعْدُ الرَّهِيبْ

وَالأَرْضُ تَرْوِيهَا الدِّمَاءُ الْغَادِرَةْ

وَالْحَقُّ يَعْلُو دَائِمًا

لا يَظْلِمُ

لا يُظْلَمُ

وَالْكُفْرُ يَسْقُطُ تَحْتَ أَقْدَامِ الأُبَاةْ

لا يَصْمُدُ

هَلْ يَصْمُدَنْ فِي وَجْهِ قَوْمٍ مَوْتُهُمْ نِعْمَ الْحَيَاةْ

فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ

ذَاكَ نَعِيمُهُمْ

بَعْدَ الْحَيَاةِ أَعِزَّةً

وَالْيَوْمَ فِي هَذَا الزَّمَانِ الْمُظْلِمِ

رَغِبَتْ جُمُوعُ الْعُرْبِ عَنْ إِسْلامِهِمْ

تَرَكُوا هُوِيَّةَ عِزِّهِمْ

إِسْلامَهُمْ

عَادُوا لِعَهْدِهُمُ الذَّلِيلِ

بِفَرْحَةٍ وَعَزِيمَةٍ

حَارَتْ لِرُؤْيَتِهَا الْعُقُولْ

فَتَشَرْذَمُوا بَيْنَ الأُمَمْ

صَارُوا كَقُطْعَانِ الْغَنَمْ

بَيْنَ الذِّئَابِ الْغَادِرَةْ

وَسْطَ الأُسُودِ الثَّائِرَةْ

أَسَمِعْتَ فِي التَّارِيخِ عَنْ قَوْمٍ

سَعَوْا لِلذُّلِّ أَلْقَوْا عِزَّهُمْ

أَرَأَيْتَ كَيْفَ الآنَ صَارَ النِّفْطُ أَغْلَى مِنْ دَمِكْ

* * *

أَنَا شَاهِدٌ بَيْنَ الْوَرَى

النِّفْطُ أَغْلَى مِنْ دَمِكْ

مُذْ يَوْمِ صَارَ الْحَاكِمُ الطَّاغُوتُ عِنْدَكُمُ الإِلَهْ

هَلْ يُسْأَلَنْ عَنْ فِعْلِهِ

أَوْ فَعْلَةٍ مِنْ أَهْلِهِ

ذَاكَ الْجُنُونْ

وَالْكُلُّ يُسْأَلُ عَنْ خَوَاطِرِ نَفْسِهِ

عَنْ حُلْمِهِ فِي نَوْمِهِ

وَالْكُلُّ يَنْعَمُ فِي هِبَاتِ يَدَيْهِ

وَالْكُلُّ يَسْجُدُ رَاجِيًا بَعْضَ النِّعَمْ

يَكْفِيهِ بَعْدَ سُجُودِهِ طُولَ الْحَيَاةِ

نَجَاتُهُ مَعَ أَهْلِهِ مِنْ كُلِّ وَاشٍ وَالنِّقَمْ

وَالْحُرُّ

مَعْنَى الْحُرِّ عِنْدَكُمُ انْتِحَارْ

وَلأَهْلِهِ سِجْنٌ وَذُلٌّ وَانْكِسَارْ

عَارٌ غَشَاهُمُ أَيُّ عَارْ

تَعْذِيبُهُ مَا كَانَ يَوْمًا فِي زَمَانْ

الْجَلْدُ وَالتَّعْلِيقُ مِنْهُ هُوَ الْحَنَانْ

وَالْكَهْرَبَاءُ هِيَ اخْتِرَاعُ الْعَصْرِ

شُحْنَاتٌ تُزَلْزِلُ كُلَّ ذَرَّاتِ الْجَسَدْ

وَيَذُوبُ فِي الأَحْمَاضِ أَهْوَنُ مِنْ سِبَاعٍ تَنْهَشُ اللَّحْمَ الْعَلِيلَ

وَرُبَّمَا نَهْشَ الْكَبِدْ

وَلَرُبَّمَا نَالَ الأَبِيُّ الْحُرُّ مِنْ طَاغُوتِهِ لَقَبَ السَّجِينْ

فَالْمَنُّ كُلُّ الْمَنِّ مِنْ ذَاكَ الْكَرِيمْ

أَنْعِمْ بِهَذَا الْحِلْمِ مِنْ ذَاكَ الْحَلِيمْ

يَرْضَى بِحُرٍّ فِي الْحَيَاةْ

أَعَلِمْتَ كَيْفَ الآنَ صَارَ النِّفْطُ أَغْلَى مِنْ دَمِكْ

فِي أَرْضِ قَوْمِكَ

بَيْنَ أَهْلِكَ

هَلْ تَرَى

لا شَيءَ أَرْخَصُ مِنْ دَمِكْ

وَتُرِيدُ مِنْ أَعْدَاءِ دِينِكَ

أَنْ يَحِنُّوا أَوْ تَرِقَّ قُلُوبُهُمْ لِدِمَائِكْ

هَذَا جُنُونْ

طَاغُوتُكُمْ فِي بَأْسِهِ مَعَهُمْ يَهُونُ

وَيَسْجُدُ الْعُمْرَ الطَّوِيلَ

حَيَاتَهُ فِي حُكْمِكُمْ

فَسُجُودُهُ كَسُجُودِكُمْ

وَهَوَانُهُ كَهَوَانِكُمْ

أَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَ هَذَا الضَّيْمِ أَرْخَصَ مِنْ دَمِكْ

كُلُّ الْوَرَى شَهِدُوا بِأَنَّ النِّفْطَ أَغْلَى مِنْ دَمِكْ

طَرِيقُ الْعِلْمِ

حَيَـاةُ الْفَتَـى مَـا حَيَـا ظُلُـمَاتْ
إِذَا لَمْ يُنِرْهَـا بِنُـورِ الْحَيَـاتْ
بِعِلْـمٍ يَـصِيرُ بِـهِ أُمَّـةً
بِـهِ يَهْتَـدِي ثُـمَّ يُحْيِـي الرُّفَـاتْ
فَعِلْـمُ الْفَتَـى بَعْـدَ جَهْـلٍ حَيَـاة
وَمَـا أَرْوَعَ الْبَعْـثَ بَعْـدَ الْمَـمَاتْ
لَقَـدْ عِـشْتُ دَهْـرًا أَرُومُ الْحَيَـاة
فَكَـمْ لَـذَّةٍ نِلْـتُ وَالنَّفَحَـاتْ
وَكَـمْ لَيْلَـةٍ فِي الْعَنَـاءِ الـشَّدِيد
وَيَـوْمٍ عَـسِيرٍ مَـضَى دُونَ آتْ
إِذَا مَـا تَعَلَّمْـتُ شَـيْئًا كَـأَنِّي
بِـصَحْرَاءَ حَالِكَـةِ الظُّلُـمَاتْ

وَنَجْـمٌ بَـدَا فَأَضَـاءَ الطَّرِيـقْ

وَكَمْ يُفْـرِحُ الْمَـرْءَ ذِي اللَّحَظَـاتْ

وَلَكِنَّهَـا فَرْحَـةٌ كَالـسَّرَاب

فَيَبْـدُو الطَّرِيـقُ طَـوِيلاً وَعَـاتْ

وَمِـنْ خَلْفِـهِ تَكْثُـرُ الطُّرُقَـات

فَإِمَّـا أُلُـوفٌ وَإِمَّـا مِئَـاتْ

فَيَـا لَيْـتَ شِـعْرِي أَعِلْمِـي يَزِيـدُ

أَمِ الْجَهْـلُ يَبْـدُو فَقَـطْ فِي ثَبَـاتْ

وَلَكِـنْ عَجِبْـتُ لِهَـذَا الطَّرِيـق

لأَشْـوَاكِهِ لَـذَّةُ الـشَّهَوَاتْ

وَإِنِّي عَـشِقْتُ وَعِـشْقِي يَزِيـد

طَرِيقًـا بِـهِ الْحُـورُ وَالـدَّرَجَاتْ

فَقُمْ غُصْ أَخِـي فِي بِحَـارِ الْعُلُـوم

وَحُـزْ دُرَرًا وَانْـسَ نَـوْمَ الـسُّبَاتْ

تَـــزَيَّنْ بِـــدُرِّكَ إِنْ حُزْتَـــهُ
وَكُـنْ مَالِـكَ الْمَـاءِ فِي الْفَلَـوَاتْ

فَهَـذَا الطَّرِيـقُ طَرِيـقُ الْحَيَـاة
أَخِـي إِنْ حَيِيـتَ وَإِلاَّ الْمَـمَاتْ

رِسَالَةٌ إِلَى أَسِيرٍ

يَا أَخِي الْمَأْسُورَ فِي سِجْنِ الْحِمَامِ
هَلْ يَكُونُ الْيَوْمَ مِثْلَ الصَّبْرِ حَامِ؟
إِنْ تُعِزَّ الدِّينَ ذَا الْيَوْمَ تَكُنْ
قَدْ صَدَقْتَ اللهَ فِي مَاضِي الْكَلامِ
قَدْ أَرَدْتَ الْخُلْدَ بِالدُّنْيَا فَيَا
عِشْ حَيَاةَ الْعِزِّ فِي دُنْيَا الْكِرَامِ
دَعْكَ مِمَّنْ بَاعَ دِينًا وَإِبَا
كَيْ يَهِيمَ الْعُمْرَ فِي دُنْيَا اللِّئَامِ
يَا أَخِي النَّصْرُ تَرَاءَى - هَلْ تَرَى
وَقُلُوبُ الصِّدْقِ مِنْ خَلْفِ الْغَمَامِ
قَامَ لِلدِّينِ رِجَالٌ قَدَّمُوا
حَظَّ دُنْيَاهُمْ وَعَيْشًا فِي جَمَامِ

كَيْ يَسُودَ الـدِّينُ وَالنُّـورُ الـدُّجَى

وَيُفَـكَّ الأَسْرُ عَـنْ عَـانٍ مُـضَامِ

يَـا أَخِـي انْـصُرْ صَـامِدًا إِسْـلامَنَا

لا تُبَـالِي الـسَّوْطَ أَوْ لُقْيَـا الْحِـمَامِ

هَـلْ أَضَـاعَ الْحُـرُّ عُمْـرًا بِالإِبَـا

هَلْ يَزِيدُ الْعُمْرُ مِنْ خَفْرِ الذِّمَامِ؟!

فَلْـتَكُنْ لَيْثًـا إِذَا كَـانَ الْـوَغَى

وَلْـتَكُنْ طَـوْدًا عَظِـيمًا فِي الْجِـسَامِ

يَـا أَخِـي لا تَـرْهَبَنْ طُغْيَـانَهُمْ

أَفَلِلإِيـمَانِ خَـوْفٌ مِـنْ طَغَـامِ؟

وَلَـئِنْ عِـشْنَا زَمَانًـا فِي الـدُّجَى

كُنْ كَنُورِ الْبَـدْرِ يَزْهُـو فِي الظَّـلامِ

وَلَـئِنْ آلَمَنَـا جُـرْحٌ طَغَـى

لِجِرَاحُ الْكُفْـرِ تُـرْوَى مِـنْ آلامِـي

وَجِـرَاحُ الـسِّلْمِ تَـدْمَى لِلـشِّفَا

وَجِـرَاحُ الْكُفْـرِ تَـدْمَى لِلْحِـمَامِ

فَلْـتَكُنْ نُـورًا إِذَا كَـانَ الـدُّجَى

فَلْتُعِـزَّ الـدِّينَ أَنْـتَ الْيَـوْمَ حَـامِ

رثاء وأمل في اللقاء

يَـا إِخْـوَتِي الـشُّهَدَاءَ ذَاكَ سَـلامُ
إِنَّ الْحَيَـــاةَ بِفَقْـــدِكُمْ آلامُ
أَنْـتُمْ نَـصَرْتُمْ دِيـنَ رَبِّي فِي الْـوَرَى
حِـينَ التَّـذَلُّلُ وَالْخُنُـوعُ يُـرَامُ
أَنْـتُمْ أَبَيْـتُمْ أَنْ تَعِيـشُوا فِي الـرَّدَى
وَلَغَـيْرُكُمْ عَـشِقَ الْحَيَـاةَ يُـضَامُ
حَـشَفٌ يَـضَنُّ بِـهِ الْعِبَـادُ وَأَنْـتُمُ
مُزْنٌ وَهَلْ أَعْطَـى الـدِّمَاءَ غَـمَامُ
دَمُكُـمْ لأَحْـرَارِ الْحَيَـاةِ مَفَـاخِرٌ
وَمِـنَ الْقُعُـودِ الْـوَاهِنِينَ يُـلامُ
صِرْتُـمْ مَلاحِـمَ أُمَّـةٍ تَبْكِـي الـدِّمَا
وَدُمُوعُهَـا كَنَـصِيرِهَا أَحْـلامُ

صِرْتُـمْ أَثَـالَ الـدِّينِ يَفْخَـرُ بَعْـدَمَا

ظَلَّ الْقُرُونَ عَـلَى الثُّغُـورِ طَغَـامُ

مَـنْ يَـصْدُقِ الـرَّحْمَنَ يَـصْدُقْهُ وَذَا

خَـبَرُ الـدِّمَاءِ وَلِلـدِّمَاءِ كَـلامُ

هَـذِي قُبُـورٌ لا النُّجُـومُ مُـشِعَّةٌ

أَيُـضِيءُ لَيْـلَ الْيَائِـسِينَ رِجَـامُ

اللَّيْـلُ يَـشْكُو بَاكِيًـا أَيْـنَ الأُلَى

مَـلأُونِ نُـورًا سُـجَّدًا وَقِيَـامُ

نُـورًا وَدِفْئًـا مِـنْ دُمُـوعٍ يَـا لَهَـا

أَنُـسُورُ بَـأْسٍ أَمْ أُلاكَ حَمَـامُ

وَالشَّمْسُ تَحْتَرِقُ الأَسَى كَـالأُمِّ قَـدْ

ذَبَحَ الرَّضِيعَ بِحِجْرِهَـا الظُّـلاَّمُ

أَيْـنَ الَّـذِينَ لِقَـاؤُهُمْ وَوَدَاعُهُـمْ

بِالذِّكْرِ كَمْ زِيـدَ الْوُجُـودَ ظَـلامُ

أَنَـا مِـثْلُهُمْ نُـورُ الْحَيَـاةِ وَلَيْتَنِـي

مَعَهُـمْ فَيَبْقَـى لِلْـوَرَى الإِعْتَـامُ

لَـوْلا بَقِيَّـةُ مُـؤْمِنِينَ أُحِـبُّهُمْ

لَـوَدِدْتُ أَنَّ أَشِـعَّتِي أَضْرَامُ

وَالأَرْضُ تَحْـزَنُ لا تَقَـرُّ كَأَنَّهَـا

عَذْرَا أَضَاعَتْ حُسْنَهَا الأَسْقَامُ

مَـاذَا دَهَـانِي هَـلْ هُمُـومِي أُثْقِلَـتْ

أَوْ زَالَ عَنِّي - وَيْلَتِي - الأَعْلامُ

أَيْنَ الَّـذِينَ رُكُـوعُهُمْ وَسُـجُودُهُمْ

يُعْطِـينِ رَوْحًـا لِي بِـهِ اسْـتِرْحَامُ

أَيْنَ الأُلَى يَمْشُونَ هَوْنًـا مَـا جَـرَى

يَـا لَيْتَنِـي لِعَـدُوِّهِمْ أَلْغَـامُ

الْكَـوْنُ وَدَّعَكُـمْ حَزِينًـا دَامِعًـا

فِي مَـشْهَدٍ يَـا لَيْتَنِـي رَسَّـامُ

قَلْبِـي يَفِـيضُ تَـشَوُّقًا وَيَرَاعَتِـي

كَتَبَـتْ قَرِيـضًا فَـاضَ مِنْـهُ وِئَـامُ

لَـوْلا الـشَّهَادَةُ قَـدْ رَثَيْـتُكُمُ رِثَـا

صَخْرٍ، وَمَنْ صَخْرٌ؟! إِذَنْ سَأُلامُ

هَـلْ نَفْـسِ أَبْكِـي أَوْ أُسَرُّ لِفَـوْزِكُمْ

بِـشَهَادَةٍ مِـنْ رَبِّكُـمْ إِنْعَـامُ

هَلاَّ أَعِـيشُ بِخَـاطِرِي مَعَكُـمْ فَـلا

تُدْمِي الْجِرَاحُ الْقَلْـبَ ذَاكَ مَـرَامُ

أَمْ أَنَّنِـي مَحْـرُومُ طَيْـفٍ بِالـدُّجَى

يُؤْسِي جِرَاحِي هَـلْ لِيَ الأَحْـلامُ

طَيْفٌ وَأَحْلامٌ غِنًى لِعَزِيمَتِي

فَلَعَـلَّ لِي مَعَكُـمْ يَكُـونُ مُقَـامُ

فلتفخري مصرُ

سَـمِعْتُ نَحِيبًـا فِي دِمَـائِي لَـهُ كِـبْرُ

فَنَادَيْتُ: مَا هَذَا؟! أَجَابَتْ: أَنَا مِصْرُ

فَقُلْتُ: لِمَ النَّحِيبُ يَـا غُـرَّةَ الـدُّنَى؟

وَهَـا أَنَـذَا فَخَبِّرِينِـيَ مَـا الأَمْـرُ؟

فَقَالَـتْ: قُيُـودِي آلَتِنِـي وَقَـدْ سَئِمْـ

ـتُ ذُلاً وَحُكْمًا طَاغِيًا شَرْعُـهُ الْقَهْـرُ

فَقُلْـتُ: وَكَيْـفَ الـذُّلُّ؟ إِنَّـكِ حُـرَّةٌ

وَهَا هُـمْ بَنُوكِ الْحَاكِمُونَ فَـمَا الـضُّرُّ؟

فَقَالَـتْ: خِـدَاعٌ مَـا بَنِـيَّ هُـمُ وَهَـلْ

مِنِ ابْنٍ يَبِيـعُ الأُمَّ مِنْـهُ لَهَـا الْغَـدْرُ؟!

فَـإِنَّهُمُ أَيْـدِي عَـدُوِّي وَكَيْـدُهُ

فَزَانُـوا قُيُـودِي بِـالطِّلا لَوْنُـهُ التِّـبْرُ

فَمَنْ قَاطِعُ الأَيْدِي الْخَبِيثَةِ مُنْقِذِي؟!

وَمَنْ يَحْطِمُ الأَغْلالَ - وُلْدِي - فَلا أَسْرُ؟!

فَقُلْتُ: رُوَيْدًا إِنَّ دَمْعَكِ ثَائِرٌ

وَإِنَّ بَنِيكِ الأُسْدَ حَتْمًا لَهُمْ جَمْرُ

فَقَالَتْ: بَنِيَّ الأُسْدُ أَسْرَى وَكَيْفَ بِي

أَضَنُّ بِدَمْعِي وَالدُّمُوعُ بِهِمْ نَهْرُ؟!

وَقُرَّةُ عَيْنِي يُقْتَلُونَ وَكَيْفَ بِي

أَضِنُّ بِدَمْعِي هَا دِمَائِيَ ذِي بَحْرُ؟!

فَقُلْتُ: هَنِيئًا مِصْرُ هَذَا خَلاصُنَا

وَهَذِي دِمَاءٌ مِنْ بَنِيكِ هِيَ الْبِشْرُ

دُمُوعٌ دِمَاءٌ نِيلُ عِزِّكِ وَالْعُلا

وَبَعْثٌ لِشَعْبٍ فِي الْخُنُوعِ لَهُ دَهْرُ

فَخَارِ وَكَفْكِفِي الدُّمُوعَ فَإِنَّهُ

أَبَى الضَّيْمَ أَبْنَاءٌ أُسُودُ الشَّرَى غُرُّ

أَلا تَفْـــرَحِينَ أَنْ تَـــسِيلَ دِمَـــاؤُهُمْ

وَتُـضْحِينَ حُـرَّةً وَيَمْحُـو الـدُّجَى الْفَجْـرُ

فَجَـــادَتْ بِبَـــسْمَةٍ وَقَطْـــرَةُ دَمْعَـــةٍ

تَـــسَاقَطُ ثُـــمَّ قَالَـــتِ: الْيَـــوْمَ لِي فَخْـــرُ

كاميليا والخائنون[1]

أَلا أَيُّهَـا اللَّيْـلُ الهَـصُورُ تَعَلَّـمِ
وَأَقْعِ جُلُوسًـا أَلْـقِ سَـمْعَكَ وَاغْـنَمِ
لِتَغْـنَمْ دُرُوسًـا فِي الـصُّمُودِ كَأَنَّهَـا
بِلَيْـلِ الـدُّجَى بَـدْرٌ يُنِـيرُ لِمُـسْلِمِ
ثَبَـاتٌ يُزَلْـزِلُ الطُّغَـاةَ يُـذِلُّهُمْ
يَرُومُونَ تَحْرِيكَ الرَّوَاسِي بِمِعْـصَمِ
فَهَـذِي كَامِلْيَـا قَـدْ أَتَـتْ بَعْـدَ إِخْـوَةٍ
لِتَقْذِفَ نُورًا يَرْعَبُ الْبَاطِلَ الْعَمِي
تُوَاجِهُ - لا تَلْوِي - قُوَى الشَّرِّ فِي الْوَرَى
كَأُسْدِ الشَّرَى فِي الْبَأْسِ لَمْ تَتَحَلَّمِ

---

(١) كاميليا شحاتة التي أسلمت، وسلّمها الأزهر لأمن الدولة، والذي سلمها للكنيسة لتفتنها عن دينها، وحتى الآن لا يعلم أحد مصيرها.

فَأَجْلَتْ نِفَاقَ الْقَوْمِ عَرَّتْ خِيَانَةً
فَبَانَ عَدُوُّ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكَمِي
فَكَانَ شَرِيفًا قِيلَ دَوْمًا لأَزْهَرٍ
فَصَارَ كَرَأْسٍ لِلدِّيَانَةِ وَالْفَمِ
يُحَارِبُ فِي الإِصْبَاحِ كُلَّ عَفِيفَةٍ
وَيُحْيِي اللَّيَالِي شَاهِدَ الْعَهْرِ يَعْتَمِي
تَرَاهُ كَلَيْثٍ عِنْدَ ذِكْرِ نِقَابِهَا
وَعِنْدَ الْخَنَا وَالْفِسْقِ أَكْبَرَ مُنْعِمِ
وَإِنْ يُرِدِ الْكُفَّارُ حَرْبَ حِجَابِهَا
يَصِرْ لَهُمُ سَيْفًا مُقَطِّعَ أَعْظُمِ
وَذَاكَ الْوَزِيرُ الْغِرُّ حَارَبَ جَهْرَةً
مَظَاهِرَ دِينِ اللهِ فِي الظُّلْمِ يَرْتَمِي
أَتَتْبَعْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ؟!
أَلا تِلْكَ زَوْجِي فَاتَّبِعْنَ وَأَنْعِمِ

وَمُفْتِيهِمُ حِبُّ الْرُّتَارِي نَصِيرُهُمْ

وَهَلْ يَخْتَفِي الظُّلاَّمُ إِلاَّ بِمُظْلِمِ

أَلا يَا كَامِلْيَا كَمْ تَسُوئِينَ أُمَّةً

طَغَى الظُّلْمُ حَتَّى ضَيَّعُوا كُلَّ مُكْرَمِ

فَصَارَتْ لِصِهْيَوْنٍ يَدًا بَلْ مَدَافِعًا

وَكُلُّ مُجَاهِدٍ عَدُوٌّ كَمُجْرِمِ

وَصَارَ بِهَا عَبْدُ الصَّلِيبِ مُكَرَّمًا

وَمَنْ يَرْضَ دِينَ اللهِ يُخْزَ وَيُحْرَمِ

وَلَكِنْ لِيَعْلَمْ كُلُّ طَاغٍ وَمُجْرِمٍ

بِأَنَّ لِدِينِ اللهِ حُرَّ الضَّيَاغِمِ

وَأَنَّ سُيُوفَ اللهِ سُلَّتْ وَأُشْهِرَتْ

وَأَنَّ بِحَارًا سَوْفَ تَجْرِي مِنَ الدَّمِ

وَهَذَا نَذِيرٌ لا خَيَالٌ لِشَاعِرٍ

وَهَذَا هُوَ التَّارِيخُ فَاقْرَأْ وَأَحْكِمِ

اخسأ ولا تطغى أيا سلمي[1]

اخْـسَأْ ولا تطغـى أيَـا سِـلَمِي
أَتَـرُومُ ذُلَّ الـدِّينِ وَالْقِـيَمِ؟!
أَتُحَـارِبُ الإِسْـلامَ شِرْعَتَـهُ
بِكَتِيبَـةِ الْعَلْـمَانِ وَالْوَصَـمِ؟!
أَتَـرُومُ طَمْـسَ هُوِيَّـةٍ ظَهَـرَتْ
كَالْبَـدْرِ وَسْـطَ اللَّيْـلِ وَالظُّلَـمِ؟!
أَتَـرُومُ مَنْـعَ الْقَطْـرِ تُمْطِـرُهُ
سُحُبٌ مِـنَ الرَّحَمَـاتِ وَالـنِّعَمِ؟!
أَتَرُومُ حَجْبَ الشَّمْسِ مَـشْرِقَهَا؟!
سَـتَبُوءُ بالْخُـسْرَانِ وَالـنِّقَمِ

---

(١) صاحب وثيقة السلمي الشهيرة.

أَتَـرُومُ مَنْـعَ الأَرْضِ نَبْتَتَهَـا؟!

بَرَكَاتُهَـا تَهْـوِي إِلَى الْعَـدَمِ!

أَتَـرُومُ مَنْـعَ النَّـاسِ مِـنْ أَمَـلٍ

يَعْلُـو كَـلامُ اللهِ فِي الأُمَـمِ؟!

أَتَـرُومُ نَطْـحَ الـصَّخْرِ مُوهِنَـهُ؟!

سَـيَذِلُّ قَرْنُـكَ حَاصِـدَ النَّـدَمِ

أَتَـرُومُ فِتْنَـةَ أُمَّـةٍ رَضِـيَتْ

بِـاللهِ رَبًّـا بَـارِئَ النَّـسَمِ؟!

أَتَبُـثُّ فِتْنَـةَ عَابِـثٍ نَـزِقٍ

تَمْحُـو شَرِيعَـةَ رَبِّنَـا الْحَكَـمِ؟!

أَتَـرُومُ نُـورَ اللهِ تُطْفِئُـهُ؟!

اخْـسَأْ نَـصِيرَ الـشَّرِّ لا تَـشَمِ

سَـيَتِمُّ نُـورُ اللهِ فَـانْتَظِرَنْ

غَـضَبًا يَثُـورُ يُبِيـدُ كَـالْحِمَمِ

دُرَّتِي

خُضْتُ الْبِحَارَ وَغُصْتُ فِي أَعْمَاقِهَا

فَلَعَلَّ فِي الأَعْمَاقِ أَلْقَى دُرَّتِي

فَأَغُوصُ مِنْ عُمْقٍ لأَعْمَقَ عَلَّنِي

أَجِدُ اللآلِئَ كَي أَفُوزَ بِبُغْيَتِي

هِيَ دُرَّةٌ أَوْصَافُهَا فَوْقَ الدُّرَرْ

يَهْفُو إِلَيْهَا الأَتْقِيَاءُ مِنَ الْبَشَرْ

وَمُنَى الأَعَادِي أَنْ تَغُورَ فَلا تُرَى تَحْتَ النَّظَرْ

وَإِذَا بَدَتْ يَأْسَى الأَعَادِي أَنْ بَدَا فِي أُمَّتِي

وَسْطَ الظَّلامِ الدَّامِسِ

هَذَا الْقَمَرْ

* * *

هِيَ دُرَّتِي

عَلِمَ الْوَرَى أَنَّ الْوُصُولَ إِلَى النُّجُومِ سَيَسْهُلُ

أَمَّا الْوُصُولُ لِنَظْرَةٍ مِنْ دُرَّتِي لا يُعْقَلُ

ذَا مُسْتَحِيلْ

مَلأَتْ عُيُونِي صِرْتُ أَعْمَى عَنْ سِوَاهَا

أَنَا إِنْ نَظَرْتُ لِغَيْرِهَا سَيَلُومُنِي قَلْبِي

وَتَعْصِي نَظْرَتِي

فِي الْقَلْبِ تَسْكُنُ فِي الْحَنَايَا

سَتَقَرُّ فِي أَعْمَاقِ رُوحِي بَيْنَ نَفْسِ وَمُهْجَتِي

* * *

قَالُوا تَمَهَّلْ

إِنْ تَجِدْهَا كَيْفَ تَأْتِي بِالثَّمَنْ؟

لَكِنَّنِي لَنْ أَنْتَظِرْ

هِيَ لا يُسَاوِيهَا ثَمَنْ

فَكُنُوزُ هَذِي الأَرْضِ لَمْ تَعْدِلْ قَلِيلاً مِنْ حَيَاهَا

وَتُرَابُ هَذِي الأَرْضِ يَثْمُنُ حِينَ تَلْمِسُهُ يَدَاهَا

وَكُنُوزُ هَذِي الأَرْضِ هَانَتْ إِنْ تُثَمَّنْ فِي سَمَاهَا

وَكُنُوزُ هَذِي الأَرْضِ تَزْهُو حِينَ تُمْنَحُ مِنْ ضِيَاهَا

لَنْ أَصْطَبِرْ

سَأَظَلُّ أَبْحَثُ فِي الشَّوَاطِئِ وَالْبِحَارِ

وَفِي الْجِبَالِ وَفِي الْبَوَادِي وَالْحَضَرْ

سَأَغُوصُ فِي الأَعْمَاقِ أَوْ سَأَطِيرُ فِي هَذَا الْفَضَاءِ الشَّاسِعِ

لا فَرْقَ عِنْدِي

مَا عَلِمْتُ بِأَنَّ يَوْمًا قَدْ دَنَا

سَأَنَالُ فِيهِ بُغْيَتِي

فِيهِ أُلاقِي دُرَّتِي

لا مثل

أَأَجْمَلَ مَنْ رَأَتْ عَيْنِي ... وَمَا لَكِ فِي الْوَرَى مَثَلُ

فَلَوْ يَوْمًا تَبَاعَدْنَا ... فِرَاقُكِ كَيْفَ أَحْتَمِلُ

أَيَحْيَا الْقَلْبُ بَعْدَكُمُ ... يَعِيشُ وَمَا لَهُ أَمَلُ

وَهَلْ لِلْعَيْنِ مِنْ نَظَرٍ ... وَدُونَكِ مَا تَرَى طَلَلُ

وَهَلْ لِحَيَاتِ مِنْ مَعْنًى ... بِدُونِكِ إِنَّهَا الْمَلَلُ

سَكَنْتِ الْقَلْبَ مَالِكَةً ... فُؤَادًا حُبُّهُ جَلَلُ

وَأَنْتِ الرُّوحُ فِي جَسَدِي ... بِبُعْدِكِ يَنْتَهِي الأَجَلُ

فَيَا عُمْرِي وَيَا أَمَلِي ... مَتَى نَفْسِي سَتَكْتَمِلُ

سلام

أَمِـيرَةَ قَلْبِـي وَرُوحِـي سَـلامْ
رَقِيـقٌ يَفُـوحُ شَـذًا لا يُـرَامْ
فَلِلْـوَرْدِ عِطْـرٌ وَحَـتْمًا يَـزُول
وَلِلـشَّوْقِ عِطْـرٌ مِـنَ الْقَلْـبِ دَامْ
وَحِـينَ أَرَاكِ كَـأَنِّي رُوِيـت
وَمَـا أَجْمَـلَ الـرِّيَّ بَعْـدَ الأُوَامْ
وَمَـا أَبْـأَسَ اللَّيْـلَ حِـينَ يَطُـول
وَلَـيْلِي فِرَاقُـكِ لَـيْسَ الظَّـلامْ
وَمَـا أَرْوَعَ الْفَجْـرَ بَعْـدَ الـدُّجَى
وَفَجْـرِي لِقَـاؤُكِ حُلْمِـي الـدَّوَامْ
أَمِـثْلِي يَـرَى مِنْـكِ هَـذَا الْجَفَـاء
أَهُـونُ عَلَيْـكِ لأَدْنَـى كَـلامْ

لَقَدْ صِرْتُ عِنْدَكِ دُونَ الصِّحَاب

وَقَدْ صِرْتِ عِنْدِيَ أَغْلَى الأَنَامْ

فَيَوْمٌ تَغِيبِينَ عَنِّي سِنُون

وَأَنْتِ لَدَيْكِ كَلَيْلٍ يُنَامْ

فَهَلْ رَحْمَةً لِلْفُؤَادِ الْجَرِيح

وَلَوْ نَظْرَةً لَيْسَ فِيهَا مَلامْ

هَدِيَّتِي

إِلَيْكِ هَدِيَّتِي وَقَلْبِي مُتَيَّمُ
مُنَاهُ يَكُونُهَا وَمَا زَالَ يَحْلُمُ

وَرُوحِي تَمَنَّى لَوْ تَصِيرُ هَدِيَّتِي
فَنَحْيَا بِرُوحَيْنَا مَعًا نَتَنَعَّمُ

وَلَوْ أَنَّ مِلْكِي ذِي الْبِحَارُ بِدُرِّهَا
بَعَثْتُ إِلَيْكِ الدُّرَّ وَهْيَ تَبَسَّمُ

وَلَوْ كُنْتُ أُهْدِيكِ الْبَسِيطَةَ جَنَّةً
وَفَاحَتْ بِمَا فِي الْقَلْبِ كَادَتْ تَكَلَّمُ

وَلَوْ كُنْتُ أُعْطِيكِ النُّجُومَ هَدِيَّةً
وَصَارَتْ تُبَاهِي، مِنْ ضِيَائِكِ تَنْهَمُ

وَلَوْ كُنْتُ أُهْدِيكِ الْقَرِيضَ مُمَدِّحًا
وَصَارَ قَرِيضِي من سِمَاتِكِ يَنْغَمُ

فَنَالَ الرِّضَا مَا قَدْ بَذَلْتُ لَسَرَّنِي
وَصِرْتُ عَلَى التَّقْصِيرِ ذَا أَتَأَلَّمُ

شَذَا قَلْبِي وَكَلِمَاتِي

لَـوْ لَمْ يَكُـنْ إِلاَّ الْكَـلامَ مُعَـبِّرٌ
لَجَرَتْ بُحُورُ الْحُبِّ مِـنْ كَلِـمَاتِي
هَذَا شَذَاهُ يَفُـوحُ مِـنْ قَلْبِـي وَمَـا
أَشْـذَاهُ حِـينَ يَفُـوحُ مِـنْ نَظَـرَاتِي
لَكِنْ شَذَاهُ يَدُومُ مِنْ قَلْبِي وَهَـلْ
لِـشَذَا الْقُلُـوبِ نِهَايَـةٌ، أَحَيَـاتِي
فَالْعَيْنُ تَرْنُو عَلَّ تَرْوَى مِنْ صَدًى
بَعْـدَ الْفِـرَاقِ يَطُـولُ لَـوْ لَحَظَـاتِ
وَالْقَلْبُ مَـا عَـرَفَ الْفِـرَاقَ لأَنَّـهُ
تَحْيَـيْنَ فِيـهِ فَـصَارَ كَالْجَنَّـاتِ
قَـدْ كَـانَ يَحْيَـا قَـاحِلاً فَأَتَيْتِـهِ
مِثْـلَ الرَّبِيـعِ فَـأَزْهَرَ الْعَطِـرَاتِ

فَـأَسَرَّ لِي عَهْـدًا سَـيَحْيَا حَامِيًـا

تَحْيَـيْنَ فِيـهِ الـدُّرَّ فِي الـصَّدَفَاتِ

هَـذَا الـشَّذَا لِحَدِيثِـهِ تَهْفُـو الْقُلُـو

بُ لِصِدْقِهِ يَعْرُو الأَسَى الْكَلِـمَاتِ

عُيُون.....

أَتِلْـكَ عُيُـونٌ أَمْ نُجُـومٌ مِـنَ الـسَّمَا
إِذَا نَظَـرَتْ فَالْخَطْـبُ أَنْ تَـتَكَلَّمَا

فَيَرْجُـفُ قَلْبِـي مِـنْ سَـمَاعِ حَنِينِهَـا
وَرَجْعُ الصَّدَى هَالَ الْحَنَايَا مَعَ الدِّمَا

فَنَظْرَتُهَـا الأُولَى فُـؤَادِيَ مَـا دَرَى
أَضَـاءَ ظَلامِـي أَمْ نَهَـارِيَ أَظْلَـمَا؟!

كَـأَنِّي بِبَحْـرٍ لا سَـوَاحِلَ قَـدْ تُـرَى
أُسَـافِرُ فِيـهِ كَيْـفَ أَرْسُـو فَأَسْـلَمَا

بِأَعْمَاقِهَـا الأَسْرَارُ كَالـدُّرِّ يَخْتَفِـي
وَأَمْوَاجُـهُ تَـدْعُو لِتُقْـدِمْ فَتَغْـنَمَا

وَلَوْ غُصْتُ فِي الأَعْمَاقِ وَالْقَلْبُ وَاجِفٌ
أَأَغْـنَمُ دُرًّا أَمْ هَلاكِـيَ أُحْكِـمَا؟

إِذَا أُغْمِضَتْ كَالشَّمْسِ حِينَ غُرُوبِهَا

تُوَدِّعُهَا الدُّنْيَا مَعَ الشَّوْقِ قَدْ نَمَا

وَلَكِنَّ جَفْنَيْهَا كَمِثْلِ سَحَابَةٍ

فَتَنْهَلُ مِنْ دِفْءٍ وَنُورٌ تَبَسَّمَا

وَحِينَ تَعُودُ الْكَوْنَ تَمْلأُ بَهْجَةً

وَيَزْهُو ضِيَاهَا مِنْ فُؤَادِي إِلَى السَّمَا

فَيَا وَيْلَتَى صِرْتُ الأَسِيرَ لِنَظْرَةٍ

وَهَلْ قَطْرَةٌ تَرْوِي الْفُؤَادَ مِنَ الظَّمَا

وَلَكِنْ سَأَرْضَى بِالْبِلالِ فَدُونَهُ

هَلاكٌ وَصَبْرًا فَالْمُنَى أَنْ تَكَرَّمَا

وَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ إِذَا ازْدَدْتُ مَا أَرَى؟

أَرِيًّا أَمِ الصَّدَى يَهُولُ فَأَنْدَمَا

وَأَعْلَمُ أَنِّي كُلَّمَا ازْدَدْتُ نَظْرَةً

يَزِيدُ الصَّدَى وَالْقَلْبُ لَنْ يَتَعَلَّمَا

حلم العاشقين

هَـلْ أَنْـتِ حُلْـمٌ مِـنْ ذُرَا أَحْلامِـي
هَلْ أَنْتِ طَيْفٌ مِنْ هَوَى أَوْهَـامِي
هَـلْ أَنْـتِ حَقًّـا فِي الْحَيَـاةِ حَبِيبَتِـي
أَوْ أَنْـتِ حُلْـمٌ أَرْوَعُ الأَحْـلامِ
هَلْ صِرْتُ حَقًّا فِي الصَّبَابَةِ شَـاعِرًا
مُتَقَلِّبًـا فِي رَوْضَـةٍ وَضِرَامِ
هَلْ صَارَ بُعْدُكِ فَوْقَ قَدْرِ عَزِيمَتِـي
وَأَنَـا الْجَسُورُ الْقَـاهِرُ الآلامِ
أَأَنَا الْغَرِيـقُ الْيَـوْمَ فِي بَحْـرِ الْهَـوَى
بَعْـدَ السِّبَاحَةِ فِي بُحُـورِ جِسَامِ
أَأَنَـا الأَسِيرُ الْيَـوْمَ لا فُكَّـتْ يَـدِي
وَالأَسْرُ ذُلٌّ قَـدْ هَـوَاهُ هُيَـامِي

يَا لَيْتَ عَيْشَ الْعَاشِقِينَ كَحُلْمِهِمْ

يَتَقَلَّبُونَ بِلَذَّةٍ وَغَرَامِ

لَكِنَّهَا الأَحْلامُ أَحْلامُ الْهَوَى

فَمَآلُهُمْ لِلْبُؤْسِ وَالأَسْقَامِ

لَوْ تَصْعَدِينَ إِلَى الْقَمَرْ

لَوْ تَصْعَدِينَ إِلَى الْقَمَرْ

فَرِحَ الْقَمَرْ

لَكِنَّ شَمْسَ الْكَوْنِ تَحْزَنُ

إِذْ ضِيَاؤُكِ سَوْفَ يُغْنِي الْبَدْرَ

عَنْ ضَوْءِ الشُّمُوسِ

يَظَلُّ يَنْهَلُ مِنْ ضِيَائِكِ

ثُمَّ يَبْعَثُهُ يُنِيرُ الْكَوْنَ يَلْتَهِمُ الدُّجَى

وَيَحَارُ شِعْرِي مَا يَقُولْ

أَيَقُولُ: أَنْتِ الْبَدْرُ فِي أَيَّامِ بِيضٍ رَائِعَهْ

أَيَقُولُ: أَنْتِ الشَّمْسُ قَدْ ظَهَرَتْ بِلَيْلٍ دُونَ حَرِّ شُعَاعِهَا

أَيَقُولُ: هَذَا النُّورُ يَأْتِي مِنْ ضِيَاءِ أَمِيرَتِي

أَيَقُولُ: هَذَا الْبَدْرُ يَسْعَدُ

إِذْ يَرَى فِي كُلِّ حِينٍ نُورَ رُوحِي وَزَوْجَتِي

لَكِنْ تُرَانِي مَا سَأَفْعَلُ حِينَهَا

فِي الأَرْضِ جِسْمِي دُونَ رُوحِي

فِي الأَرْضِ أَشْقَى نَاظِرًا سَعْدَ الْقَمَرْ

فِي الأَرْضِ أَقْرِضُ سَامِعًا طَرَبَ الْقَمَرْ

أَيَجِيءُ يَوْمٌ قَدْ أَغَارُ مِنَ الْقَمَرْ؟!

السيرة الذاتية

- شاعر وروائي وقاص وكاتب إسلامي.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- عضو تجمع شعراء بلا حدود.
- مهندس اتصالات وإلكترونيات، عضو نقابة المهندسين المصرية.
- المؤلفات: رواية «عندما يطغى النساء» – كتاب «العروض مع شرح دوائر الخليل بن أحمد الفراهيدي» (تحت الطبع) – كتاب «علاقة المعنى بالإعراب» (تحت الطبع) – ضبط وتحقيق منظومة (عقود الجمان) في البلاغة للسيوطي (تحت الطبع) – دراسات نحوية وأدبية ونقدية، بالإضافة لمقالات

وأشعار منشورة على الشبكة العنكبوتية، على مواقع (الألوكة – مجلة الزيتونة – دنيا الرأي – مؤسسة فلسطين الثقافية.....إلخ)، وعلى العديد من الجرائد الورقية.

- العديد من البرامج الأدبية والحوارات على الفضائيات.

- الايميل:

a.daha@hotmail.com
adaha@alukah.net

المحتوى

القصيدة	الصفحة
إهداء	٣
مقدمة	٥
فَلْسَفَتِي فِي الْحَيَاة	١٧
مَلْحَمَةُ حُرٍّ	١٩
قَيْدِي يُحَدِّثُنِي	٢٤
شِعْرِي	٢٧
عُمْرِي لَحْظَةٌ	٣٠
هَلْ يَنْتَهِي لَيْلِي؟	٣٢
عِنْدَمَا بَكَى وَبَكَيْتُهُ الْكِتَابُ	٣٥
عِيدُ أُمَّةٍ هَانَتْ	٣٩
مُسْلِمَةٌ تَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهَا	٤٣
رِثَاءُ الشَّيْخِ أَحْمَدَ يَاسِين	٤٦
حوار بين ليفني ومبارك بشأن غزة	٤٩
غزة.. لا تحزُّ مع الساجدين	٥١
يا قُدْسُ صبرًا	٥٤

القصيدة	الصفحة
أَنَا شَاهِدٌ بَيْنَ الْوَرَى: النَّفْطُ أَغْلَى مِنْ دَمِكْ	٦١
طَرِيقُ الْعِلْمِ	٧٢
رِسَالَةٌ إِلَى أَسِيرٍ	٧٥
رثاء وأمل في اللقاء	٧٨
فلتفخري مصرُ	٨٢
كاميليا والخائنون	٨٥
اخسأ ولا تطغى أيا سلمي	٨٨
دُرَّتِي	٩٠
لا مثَل	٩٣
سلام	٩٤
هَدِيَّتِي	٩٦
شَذَا قَلْبِي وَكَلِمَاتِي	٩٧
عُيُون	٩٩
حلم العاشقين	١٠١
لَوْ تَصْعَدِينَ إِلَى الْقَمَرْ	١٠٣
السيرة الذاتية	١٠٥